المقالة الاولي
وهي ستة فصول

الفصل الاول
في خواص مصر العامة لها

ان ارض مصر من البلاد العجيبة الاثار Cap. I.
الغريبة الاخبار وهي واد يكتنفه
جبلان شرقي وغربي والشرقي اعظمها
يبتديان من اسوان ويتقاربان باسنا حتي
يكادا يتماسان ثم ينفرجان قليلا قليلا وكلما
امتدا طولا انفرجا عرضا حتي اذا ازيا الفسطاط
كان بينهما مسافة يوم فما دونه ثم يتباعدان
اكثر من ذلك والنيل ينساب بينهما ويتشعب
باسافل الارض وجميع شعبه تصب في البحر
الملح

CAP. I.

وهذا النيل له خاصتان الاولي بعد
مرماه فانا لا نعلم في المعمورة نهرا ابعد مسافة
منه لان مباديه عيون تاتي من جبل القمر
وزعموا ان هذا الجبل ورا خط الاستوا باحدي
عشرة درجة وعرض اسوان وهي مبدا ارض
مصر اثنتان وعشرون درجة ونصف درجة
وعرض دمياط وهي اقصي ارض مصر احدي
وثلثون درجة وثلث درجة فتكون مسافة
النيل علي خط مستقيم ثلثا واربعين درجة
تنقص سدسا ومساحة ذلك تقريبا تسع ماية
فرسخ هذا سوي ما ياخذ من التعريج والتوريب
فان اعتبر ذلك تضاعفت المساحة جدا

والخاصة الثانية انه يزيد عند نضوب ساير
الانهار ونشيش المياه لانه يبتدي بالزيادة عند
انتها طول النهار وتتناهي زيادته عند الاعتدال
الخريفي وحينيذ تفتح الترع وتفيض علي
الاراضي وعلة ذلك ان مواد زيادته امطار
غزيرة دايمة وسيول متواصبة تمده في هذا
الاوان

Lin. I. الاوان فان امطار الاقليم الاول والثاني انها
تغزر في الصيف والغيظ .

واما ارض مصر فلها ايضا خواص منها انه لا يقع بها مطر الا ما لا احتفال به وخصوصا صعيدها فاما اسافلها فقد يقع بها مطر جود لكنه لا يغي بحاجة الزراعة واما دمياط والاسكندرية وما داناهما فهي غزيرة المطر ومنه يشربون وليس بارض مصر عين ولا نهر سوي نيلها

ومنها ان ارضها رملية لا تصلح للزراعة لكنه ياتيها طين اسود علك فيه دسومة كثيرة يسمي الابليز ياتيها من بلاد السودان مختلطا بها النيل عند مده فيستقر الطين وينصب الما فيحرث ويزرع وكل سنة ياتيها طين جديد ولهذا يزرع جميع ارضيها ولا يراح شي منها كما يفعل في العراق والشام لكنها يخالف عليها الاصناف وقد لحظت العرب ذلك فانها تقول اذا كثرت الرياح جادت الحراثة لانها تجي

Cap. I. بتراب غريب وتقول ايضا اذا كثرت الموتفكات
زكا الزرع ولهذه العلة تكون ارض الصعيد
زكية كثيرة الاتا والريع اذ كانت اقرب الي
المبدا فيحصل فيها من هذا الطين مقدار
كثير بخلاف اسفل الارض فانها اسافة مضوبة
اذ كانت رقيقة ضعيفة الطين لانه ياتيها الما
وقد راق وصفا ولا اعرف شبيها بذلك الا ما
حكي لي عن بعض جبال الاقليم الاول ان
الرياح تاتيه وقت الزراعة بتراب كثير ثم يقع
عليه المطر فيتلبد فيحرث ويزرع فاذا حصد جاته
رياح اخري فنسفته حتي يعود اجرد كما
كان اولا

ومنها ان الفصول بها متغيرة عن طبيعتها
التي لها فان اخص الاوقات باليبس في ساير
البلاد اعني الصيف والخريف تكثر فيه الرطوبة
بمصر بمد نيلها وفيضه لانه يمد في الصيف
ويطبق الارض في الخريف فاما ساير البلاد
فان مياهها تنش في هذا الاوان وتغزر في
اخص

LIB. I.

لخص الاوقات بالرطوبة اعني الشتا والربيع
ومصر ازاك تكون في غاية القحولة واليبس
ولهذه العلة تكثر عفوناتها واختلاف هوابها
وتغلب علي اهلها الامراض العفنية الحادثة
عن اخلاط صفراوية وبلغمية وقلما تجد فيهم
امراضا صفراوية خالصة بل الغالب عليها البلغم
حتي في الشباب والمحرورين وكثيرا ما يكون
مع الصفرا خام واكثر امراضهم في اخر الخريف
واول الشتا لكنها يغلب عليها حميد العاقبة
وتقل فيهم الامراض الحادة والدموية الوحية
واما اصحاوهم فيغلب عليهم الترهل والكسل
وشحوب اللون وكمودته وقلما تري فيهم
مشبوب اللون ظاهر الدم واما صبيانهم فصاويون
يغلب عليهم الدمامة وقلة النضارة وانما تحدث
لهم البدانة والقسامة غالبا بعد العشرين واما
ذكاوهم وتوقد اذهانهم وخفة حركاتهم فلحرارة
بلادهم الذاتية لان رطوبته عرضية ولهذا كان
اهل الصعيد اقحل جسوما واجف امزجة
والغالب

CAP. I.

والغالب عليهم السمرة وكان ساكنوا الفسطاط
الي دمياط ارطب ابدانا والغالب عليهم البياض
ولما راي قدما المصريين ان عمارة ارضهم انها
هي بنيلها جعلوا اول سنتهم اول الخريف وذلك
عند بلوغ النيل الغاية القصوي من الزيادة

ومنها ان الصبا محجوبة عنهم بجبلها الشرقي
المسمي المقطم فانه يستر عنها هذه الريح الفاضلة
وقلما تهب عليهم خالصة اللهم الا نكبا ولهذا
اختار قدما المصريين ان يجعلوا مستقر الملك
منف ونحوها مما يبعد عن هذا الجبل
الشرقي الي الغربي واختار الروم الاسكندرية
وتجنبوا موضع الفسطاط لقربه من المقطم فان
الجبل يستر عما في لحفه اكثر مما يستر عما
بعد منه ثم ان الشمس يتاخر طلوعها عليهم
فيقل في هوايهم النضج ويبقي زمانا علي نهوة
الليل ولذلك تجد المواضع المنكشفة للصبا من
ارض مصر احسن حالا من غيرها ولكثرة
رطوبته يتسارع العفن اليها ويكثر فيها الغار
ويتولد

LIB. I.

ويتولد من الطين والعقارب تكثر بقوص وكثيرا ما تقتل بلسبها والبق المنتن الذباب والبراغيث تدوم زمانا طويلا

ومنها ان الجنوب اذا هبت عندهم في الشتا والربيع وفيها بعد ذلك كانت باردة جدا ويسمونها المريسي لمرورها علي ارض المريس وهي من بلاد السودان وسبب بردها مرورها علي برك ونقايع والدليل علي صحة ذلك انها اذا دامت اياما متوالية عادت الي حرارتها الطبيعية واسخنت الهوا واحدثت فيه يبسا

الفصل الثاني

فيما تختص به من النبات

CAP. II.

من ذلك البامية وهي ثمر بقدر ابهام اليد كانه جرا القثا شديد الخضرة الا ان عليه زبيرا مشوكا وهو مخمس الشكل يحيط به خمسة اضلاع فاذا شق انشق

عن

CAP. II.

عن خمسة ابيات بينها حواجز وفي تلك الابيات حب مصطفى مستدير ابيض اصغر من اللوبيا هش يضرب الي الحلاوة وفيه اللعابية كثيرة يطبخ اهل مصر به اللحم بان يقطع مع قشورة صغارا ويكون طعاما لا باس به الغالب علي طبعه الحرارة والرطوبة ولا يظهر في طبيخه قبض بل لزوجة

ومن زلك الملوخية ويسميها الاطبا الملوكية ولعمري هي الخبازي البستاني والخطمي ايضا نوع من الخبازي البري والملوخية اشد ماية ورطوبة من الخبازي وهي باردة رطوبة في الاولي تزرع في المباقل ويطبخ بها اللحم وهي كثيرة اللعابية وتزرع ايضا بالشام قليلا ويطبخ بها عندهم في الندرة وهي ردية للمعدة لكنها تسكن الحرارة وتبرد ويسرع انحدارها لتزلقها قال الاسرايلي رايت نوعا ثالثا من الخبازي يسمي بمصر ملوخية السودان ويعرف بالعراق بالشوشنديبا وقوته ونعله وسط بين الملوخيا

Lib. I.

الملوخيا والخبازي لانه اقل غذا من الملوخيا
واكثر من الخبازي

ومن ذلك اللبخ وشجرته كالسدرة ربي
نضرة وثمرته بقدر الخلال الكبار وفي لونه
الا انه مشبع الخضرة كلون المسن وما دام
فجا ففيه تبض كما في البلح فاذا نضج طاب
وحلا وعاد فيه لزوجة ونواته كنواة الاجاص
او كقلب اللوزة بيضا الي الغبرة وتكسر بسهولة
فتنفلق عن لوزة ربا بيضا لينة واذا بقيت
ثلثة ايام ضمرت وصلبت وكلما تطاول عليها
الزمان اضمحل اللب وبقي القشر فارغا او
كالفارغ غير انه لا يتشنج بل يتقلقل اللب
فيه لسعة المكان عليه وتجد في طعم اللب
مرارة ظاهرة ولذا يبقي اثره في اللسان مدة
وقد حدست علي انه احد ضروب الدند الثلثة
فقد قال ارسطو وغيره ان اللبخ كان بفارس
سما قاتلا فنقل الي مصر فصار غذا وقال
نيقولاوس واما اللبخ فقد كان في ارضه

فارس B

Cap. II.

قارس قاتلا فنقل الي الشام والي مصر فصار
جيدا ماكولا وهو قليل غال وانها تكون
في البلاد منه شجرات معدودات واما خشبه
فغي غاية الجودة صلب خمري واسود وهو
عزيز ثمين واهل مصر يحضرون اللبخ مع
الفواكة والانغال وقال ابو حنيفه الدينوري
اللبخ شجرة عظيمة مثل الاثاب اذا عظم وورقها
كورق الجوز ولها جنا كجنا الحماط مر اذا
اكل اعطش واذا شرب عليه الما نفخ البطن
وهو من شجر الجبال ثم روي عن رجل من
صعيد مصر ان اللبخ شجر عظام امثال الدلب
له ثمر اخضر يشبه التمر حلو جدا الا انه كريه
جيد لوجع الاضراس قال واذا نشر ارعف ناشره
وينشر فيبلغ ثمن اللوح خمسين دينارا ويجعله
اصحاب المراكب في بنا السفن لبعض العلل
وزعم انه اذا ضم منه لوحان ضما شديدا وجعلا
في الما سنة التحما وصار لوحا واحدا واكثر
ما حكاه الدينوري لا اعرف صحته وقال ابن
سمجون

Lib. I.

سمجون اللبخ يكون بمصر وثمرته جيدة للمعدة وقد يوجد عليه صنف من الرتيلا وورقه اذا جفف قطع الدم ذرورا والاسهال شربا وفيها قبض بين قال واما نوي ثمره فيزعم اهل مصر ان اكله يحدث صمما

ومن ذلك الجميز وهو بمصر كثيرا جدا ورايت منه شيا بعسقلان والساحل وكانه تين بري وتخرج ثمرته في الخشب لا تحت الورق ويخلف في السنة سبعة بطون ويوكل اربعة اشهر ويحمل وقرا عظيما وقبل ان يجني بايام يصعد رجل الي الشجرة ومعه حديدة يسم بها حبة حبة من الثمرة فيجري منها لبن ابيض ثم يسود الموضع وتحلو الثمرة بذلك الفعل وقد يوجد منه شي شديد الحلاوة احلي من التين لكنه لا ينفك في اواخر مضغه من طعم خشبية ما وشجرته كبيرة كشجرة الجوز العاتية ويخرج من ثمره وغصنته اذا فصدت لبن ابيض اذا طلي علي ثوب او غيره صبغه احمر

CAP. II.

احمر وخشبه تعمر به المساكن ويتخذ منه
الابواب وغيرها من الالات الجافية وله بقا
علي الدهر وصبر علي الما والشمس وقلما
يتاكل هذا مع انه خشب خفيف قليل
اللدونة ويتخذ من ثمرته خل حاذق ونبيذ
حاذ قال جالينوس الجميز بارد رطب فيها
بين التوت والتين وهو ردي للمعدة ولبن
شجرته له قوة ملينة تلصق الجراح وتغش
الاورام ويلطخ علي لسع الهوام ويحلل جساة
الطحال واوجاع المعدة ضمادا ويتخذ منه شراب
للسعال المتقادم ونوازل الصدر والرية وعمله
بان يطبخ في الما حتي تخرج فيه قوته ويطبخ
ذلك الما مع السكر حتي ينعقد ويرفع وقال
ابو حنيفه ومن اجناس التين تين الجميز
وهو تين حلو رطب له معاليق طوال ويزبب
وضرب اخر من الجميز حمله كالتين في
الخلقة وورقه اصغر من ورق التين وتينه
اصغر صغار واسود ويكون بالغور ويسمي التين
الذكر

LIB. I.

الذكر والاصفر منه حلو والاسود يدمي الفم وليس لتينه علاقة بل لاصق بالعود

ومن ذلك البلسان فانه لا يوجد اليوم الا بمصر بعين شمس في موضع محاط عليه محتفظ به مساحته نحو سبعة افدنة وارتفاع شجرته نحو ذراع واكثر من ذلك وعليها قشران الاعلي احمر خفيف والاسفل اخضر ثخين واذا مضغ ظهر في الفم منه دهنية ورايحة عطرة وورقه شبيه بورق السذاب ويجتني دهنه عند طلوع الشعري بان تشدخ السوق بعد ما يحت عنها جميع ورقها وشدخها يكون بحجرة يتخذ محددا ويفتقر شدخها الي صناعة بحيث يقطع القشر الاعلي ويشق الاسفل شقا لا ينفذه الي الخشب فان نفذ الي الخشب لم يخرج منه شي فاذا شدخه كما وصفنا امهله ريثما يسيل لثاه علي العود فيجمعه باصبعه مسحا الي قرن فاذا امتلا صبه في قناني زجاج ولا يزال كذلك حتي ينتهي

CAP. II.

ينتهي جناه وينقطع لثاه وكلما كثر الندي
في الجو كان لثاه اكثر واغزر وفي الجدب
وقلة الندا يكون اللثا انزر ومقدار ما خرج
منه في سنة ست وتسعين وخمس ماية وهي
عام جدب نيف وعشرون رطلا ثم توخذ
الغناني فتدفن الي القيظ وحمارة الحر وتخرج
من الدفن وتجعل في الشمس ثم تتفقد
كل يوم فيوجد الدهن وقد طفا فوق رطوبة
ماييه واثقال ارضية فيقطف الدهن ثم يعاد
الي الشمس ولا يزال كذلك يشمسها ويقطف
دهنها حتي لا يبقي فيها دهن فيوخذ ذلك
الدهن ويطبخه فيه في الخفية لا يطلع علي
طبخه احدا ثم يرفعه الي خزانة الملك ومقدار
الدهن الخالص من اللثا بالترويق نحو عشر
الجملة وقال لي بعض ارباب الخبرة ان الذي
يحصل من دهنه نحو من عشرين رطلا ورايت
جاليلوس يقول ان اجود دهن البلسان ما
كان بارض فلسطين واضعفه ما كان بمصر

ونحن

Lib. I.

ونحن فلا نجد اليوم منه بفلسطين شيا البتة
وقال نيقولاوس في كتاب النبات ومن النبات
ما له رايحة طيبة في بعض اجزايه ومنه ما
رايحته الطيبة في جميع اجزايه كالبلسان
الذي يكون في الشام بقرب بحر الزفت والبير
التي يسقي منها تسمي بير البلسم وماوها
عذب وقال ابن سمجون انما يوجد في زماننا
هذا بمصر فقط ويستخرج دهنه عند طلوع
كلب الجبار وهو الشعري وذلك في الشباط
ومقدار ما يخرج ما بين خمسين رطلا الي
ستين ويباع في مكانه بضعفه فضة وكان
هذه الحال قد كانت في زمن ابن سمجون
وحكي عن الرازي ان بدله دهن الفجل وهذا
بعيد والبلسان الدهني لا يثمر وانما توخذ
منه فسوخ فتغرس في شباط فتعلق وتنمي
وانما الثمر للذكر البري ولا دهن له ويكون
بنجد وتهامة وبراري العرب وسواحل اليمن
وبارض فارس ويسمي البشام ويربي قشره قبل
استخراج

CAP. II.

استخراج دهنه فيكون نافعا من جميع السموم واما خواصه ومنافعه فالاليق بها غير هذا الكتاب

ومن ذلك القلقاس وهو اصول بقدر الخيار ومنه صغار كالاصابع يضرب الي حمرة خفيفة يقشر ثم يشقق علي مثل السلجم وهو كثيف مكتنز يشابه الموز الاخضر الفج في طعمه وفيه قبض يسير مع حرافة قوية وهذا دليل علي حرارته ويبسه فاذا سلق زالت حرافته جملة وحدث له معها فيه من القبض اليسير لزوجة مغرية كانت فيه بالقوة الا ان حرافته كانت تخفيها وتسترها ولذلك صار غذاوه غليظا بطي الهضم ثقيلا في المعدة الا انه لما فيه من القبض والعفوصة صار مقويا للمعدة حابسا للبطن اذا لم يكثر منه ولما فيه من اللزوجة والتغرية صار نافعا من سحج المعا وقشره اقوي علي حبس البطن من جرمه لانه قبضه اشد ويطبخ في السماقية وغيرها

فيعود

LIB. I.

فيعون في المرقة لزوجة يعافها من لا يعتادها
ولكن اذا سلق وصبت سلاقته ثم قلي بالدهن
حتي يتورد فلا باس به والغالب علي مزاجه
الحرارة والرطوبة ويظهر من حاله انه مركب
من جوهرين جوهر حار حريف يذهب بالطبخ
وجوهر ارضي مابي ينمي بالطبخ وزلك كما
في البصل والثوم وما كان كذلك فهو نيا
دوايي ومطبوخا غذايي وقد رايته بدمشق
لكن قليلا ورايته اذا يبس يرجع خشيبا
كالقسط سوا واما ورقه فورق مستدير واسع
علي شكل خف البعير سوا لكنه اكبر منه
ويكون قطر الورقة ما بين شبر الي شبرين
ولكل ورقة قصيب مغرد في غلظ الاصبع وطول
شبرين او ازيد ونبات كل قصيب من الاصل
الذي في الارض اذ ليس لهذا النبات ساق
ولا ثمر ايضا وورق القلقاس شديد الخضرة
رقيق البشرة شبيه بورق الموز في خضرته ونعمته
ورونقه ونضارته وقال ديوسقوريدس ان لهذا
النبات زهرا علي لون الورد فاذا عقد عقد
شيا

C

CAP. II.

شيا شبيها بالحراب كانه نفاخة الما وفيه
باقلي صغير اصغر من الباقلي اليوناني يعلو
موضعه المواضع التي ليس فيها باقلي فمن
اراد ان يزرعه فانها ياخذ ذلك الباقلي ويصيره
في كتل طين ويلقيها في الما فينبت وزعم
انه يوكل طريا ويابسا وانه يعمل منه دقيق
يشرب كالسويق ويعمل منه حسو فيقوي
المعدة وينفع من الاسهال المري وسحوج الامعا
وان الشي الاخضر الذي في وسطه المر الطعم
اذا سحق وخلط بدهن وقطر في الاذن سكن
وجعها وقال الاسراييلي اما نحن فما شاهدنا
له زهرا قال ورايت اصل هذا النبات اذا خزن
في المنازل وجا وقت نباته تفرع من الباقلي
اللاصق به فروع وانبت من غير ان يظهر له
زهر ولا ثمر لكن لون الباقلاة نفسها كلون
زهر الورد لانها حين تبزر وتاخذ في النبات
يخرج ما يبزر منها حسن البياض يعلوه تورد
يسير قال وما وجدنا له جفانا يمكن معه ان
يكون

LIB. I.

يكون منه سويق ولا رايناه السنة كلها الا
رطبا مثل بصل النرجس وبصل الزعفران ونحوه
قال ولم نر في وسطه هذا الاخضر الذي
ذكره ديوسقوريدس ولا وجدناه السنة كلها
الا كالموز الاخضر اقول كلا بل الحق ما
قاله ديوسقوريدس وانه يجف حتي يقبل
السحق ويمكن ان يتخذ منه السويق وهذا
رايناه عيانا وانه اذا جف لا فرق بينه وبين
الزنجبيل في المنظر سوي ان القلقاس اكبر
وتجد في طعمه حدة ولذعا واقول عن حدس
صناعي مبدوه المشاهدة والسماع ان القلقاس
زنجبيل مصري اكسبته الارض رطوبة فقلت
حرارته وحدته كما ان الزنجبيل الزنجي
والهندي اقوي واحد من اليمني واهل اليمن
يطبخون به كما يطبخ المصريون بالقلقاس
لكن لا يستكثر منه جدا ولقد سالت جماعة
من التجار وارباب المعرفة عن منبته باليمن
وشكله فكلهم زعم انه كالقلقاس غير ان
القلقاس

CAP. II.

القلقاس اكبر وكذلك ورقه اكبر من ورق
الزنجبيل وقد شاهدته اذا يبس لا فرق بينه
وبين الزنجبيل في الصورة مع حدة ولذع
يسير وقال لي اخر ان نبات الزنجبيل يشبه
نبات البصل مع ان القلقاس يكون في تلك
البلاد وكانه بستاني وقال علي بن رضوان
القلقاس اسرع الاغذية استحالة الي السودا
وقال غيره من اطبا مصر ان القلقاس يزيد
في الباة وفي كل نظر لا يليق بهذا الكتاب

ومن ذلك الموز وهو كثير باليمن والهند
ورايته بالغور وبالدمشق مجلوبا وكونه من
فراخ تظهر من اصل شجرته كما تظهر الفسلان
من النخلة وتسمي المثمرة الام فاذا اخذت
ثمرتها قطعت هي ايضا وخلفها اكبر بناتها
وترتفع قامة الي قامتين وكانها نخلة لطيفة
وزعموا ان شجر الموز في الاصل مركب من
قلقاس ونوي النخل تجعل النواة في جوف
القلقاسة وتغرس وهذا القول وان كان سادجا
من

LIB. I. من دليل يشهد له فالحس يسوغه وذلك
انك تجد لشجرته سعفا كسعف النخل
سوا الا انك ينبغي ان تتخيل الخوص
اتصل بعضه ببعض حتي صار كانه ثوب
حرير اخضر قد نشر او راية خضرا ترف ربا
وطراة وكان الرطوبة اكتسبها من القلقاس
والشكل اكتسبه من النخل وانت تعلم ان
تشقق سعف النخل الي الخوص انما كان
من قبل اليبس الغالب علي مزاج النخل
ولكثرة رطوبة الموز بقي سعفه متصل الخوص
ولم يتشقق فعلي هذا يكون القلقاس له
بمنزلة المادة والنخل بمنزلة الصورة وانت اذا
تاملت خشب الموز وورقه بعد يبسه الغيت
فيه تلك الشظايا والخيوط التي تجدها في
جذع النخل وسعفه الا انك تجدها مشوبة
برطوبة قد الحمت بينها وملات فرجها وان
كان القلقاس لا ينفك من ذلك ايضا
ويتبينه اكله مقلوا واما الثمر فانك تراه
اعذاقا

CAP. II.

اعذاقـا كاعذاق النخل تحمل شجرته خمس
مـاية موزة فصاعدا ويكون في منتهي العذق
موزة تسمي الام ليس فيها لحم ولا توكل واذا
شقِقت وجدت مولفة من قشور كالبصل كل
قشرين منها متقابلان يحتوي كل واحد منهما
علي نصفها طولا وتحت كل قشر عند القاعدة
زهـر ابـيض بقدر الفستـق او كزهر النارنج
عدده احد عشر في صفين لا ينقص عن هذا
العدد ولا يـزيـد الا واحدا نادرا فهذا القشر
بمنزلة كفري الطلع والزهر بمنزلة الطلع نفسه
وتـنـشـق هذا القشور من تلقا انفسها علي
التدريج الاعلي فالاعلي فيظهر ذلك الزهر ابيض.
بمنزلة البلح وفيه رطوبة حلوة فيتساقط وتعقد
عنه الموزة صغيرة فاذا اخذت في النمو قليلا
انشق قشر اخر علي الرسم ولا يزال كذلك
حتي ينتهي العذق وتجد قشر الموزة كقشر
الرطبة الا انه غلـيـظ جدا بما اكتسبه من
مادة القلقاس ولحمها حلو فيه تفاهـة كانه
رطب

LIB. I.

رطب مع خبز فالحلاوة له من الرطب والتفاهة
من القلقاس واما شكلها ففي شكل الرطبة
الا انها بقدر الخيارة الكبيرة تميل الي الصفرة
والبياض فالصفرة من الرطب والبياض من
القلقاس وحين ما يقطع يكون شديد الخضرة
جدا لا يصلح للاكل فاذا دفن اياما اصفر
وصلح للاكل ثم انك تجده شحمة واحدة
ليس فيها نوي ولا ما يرمي سوي القشر
فقط بل تراه كانه قطعة خبيص ناعم المضغ
يسترط بسهولة واذا انت تاملته في ضيا الغيت
في وسطه حبا كثيرا اصغر من الخردل يضرب
الي السواد والشقرة شبيه بحب التين لكنه
في غاية اللين فهذا كانه رسم نوي الرطب
الا انه لزيادة رطوبته لان وتفرق واختلط باللحم
وانساغ معه في الاكل وله رايحة عطرة لا باس
بها فيها خمرة ما والجشا العارض لاكله بعد
اخذه في الهضم طيب الرايحة وهو حار رطب
ورطوبته ازيد من حرارته وكانه حار في الاولي
رطب

CAP. II.

رطب في الثانية يزيد في الباة ويدر البول
ويحدث نفخا ولا يبعد في طبعه هذا عن
الرطب الا بكثرة رطوبته التي اكتسبها من
القلقاس فهذا ان كان من تركيب الصناعة
فقد صدق الخبر الخبر وان كان من تركيب
الطبيعة فان لها ايضا تركيبات عجيبة متقنة
من اصناف الحيوان والنبات فتكون الموز من
جملتها وقال ابو حنيفه الموز معادنه عمان
وتنبت الموزة نبات البردية لها عنقرة غليظة
وورقة طويلة عريضة نحو ثلث اذرع في ذراعين
ليست بمنخرطة علي نبات السعف لكن شبه
المربعة وترتفع الموزة قامة باسطة ولا تزال فراخها
تنبت حولها واحدة اصغر من الاخري فاذا
احرت وذلك ادراك موزها قطعت الام حينيذ
من اصلها وتوخذ قنوها ويطلع اكبر فراخها
فيصير هو الام وتبقي البواقي فراخا لها ولا
تزال علي هذا ابد الدهر ولذلك قال اشعب
لابنه فيما يروي عنه الاصمعي يا بني لم لا
تكون

Lib. I. تكون مثلي فقال انا مثل الموزة لا تصلح حتي
تموت امها ومن نبات الموزة الي اثمارها يشهران
وبين اطلاعها الي اجرايها اربعون يوما والموز
موجود في اوطانه السنة كلها ويكون في
القنو من اقنابها ما بين ثلثين موزة الي
خمس ماية موزة ورايت عند بعض تجار الهند
حصرا حسنة لطيفة موشاة ذات وجهين الوانها
احسن الالوان واصباغها زهر خالصة كانها
الوان الحرير عرض الحصير منها نحو ذراعين
ونصف وهو اسلة واحدة ليس فيه وصل
فجعلت اعجب من طول الاسل الذي يسمي
بمصر السمار فذكر لي انه ليس به وانما هو
متخذ من ورق الموز الهندي بان يوخذ
العسيب فيشقق ويجفف ثم يصبغ وينسج منه
هذه الحصر ويباع الحصير منها في المعبر
بدينارين ومنها ما يباع بدرهمين واراني من
كلا الصنفين

CAP. II.

واما المحمضات فيوجد بارض مصر منها اصناف كثيرة لم ارها بالعراق من ذلك اترج كبار يعز وجود مثله ببغداد ومن ذلك اترج حلو ليس فيه حماض ومن ذلك الليمون المركب وهو اصناف ايضا ويوجد فيه ما هو بقدر البطيخة ومن ذلك الليمون المختم وهو احمر شديد الحمرة اقنا حمرة من النارنج شديد الاستدارة مغلطح من راسه واسفله مفصوخ فيها بختمين

ومن ذلك ليمون البلسم وهو في قدر الابهام وكالبيضة المطاولة وفيه ما هو مخروط صحيح يبتدي من قاعدة وينتهي الي نقطة ولما لونه وريحه وشحمه وحماضه فلا يغادر من الاترج شيا

وقد يوجد اترج في جوفه اترج بقشر اصغر ايضا وخبرني صادق انه وجد في جوف اترجة سبع اترجات صغار كل واحدة يحيط بها قشر تام والذي رايته انا اترجة في جوفها اترجة

ليست

Lib. I.

ليست تامة وقد رايت منه شيا بالغور وهذا
الاترج المداخل انها يكون في زي الحماض
ثم ان هذا الانواع يركب بعضها علي بعض
فيتولد منها اصناف كثيرة جدا

ومن زلك صنف من التفاح يوجد
بالاسكندرية ببستان واحد يسمي بستان
القطعة وهو صغار جدا قاني الحمرة واما
رايحته فتفوق الوصف وتعلو علي المسك وهو
قليل جدا

واما القرط فيسمي بالعراق الرطبة وبالشام
الفصة وبالفرسية اسفست

واما النخل فكثير لكن اذا قيست ثمرته بثمرة
نخل العراق وجدت كانها قد طبخت طبخة
خرج بها معظم حلاوتها وبقيت ناقصة القوة وما
يسميه اهل العراق القسب يسميه اهل مصر
التمر واما التمر بالعراق فيسمونه العجوة وقلما
تجد عندهم ما يشابه تمر العراق الا نادرا
ويكون زلك نخيلا معدودة تهدي تحفة

واما الماش وهو المج فلا يزرع بمصر اصلا وانما يوجد عند العطارين مجلوبا من الشام ويباع بالاوقي للمرضي واما الذرة والدخن فلا يعرفان بمصر اللهم الا بالصعيد الاعلي وخاصة الدخن

ومما يختص به مصر الافيون وهو يجتني من الخشخاش الاسود بالصعيد وكثيرا ما يغشه جناته وربما غشوه بالعذرة وعلامة الخالص منه ان يذوب في الشمس ويقد في السراج بلا ظلمة واذا طفي تكون رايحته قوية والمغشوش يسوس سريعا وارسطو ينهي عن خلطه بدوا العين والاذن لانه يعمي ويضم

ومن ذلك الاقاقيا وهو عصارة ورق شجر القرظ وثمره يستخرج ماوه بالدق والعصر ويجعل في اوان مرحرحة تلقا الشمس حتي يغلظ ثم يقرص هذا هو الخالص الخاص واما العام الذي يجلب الي البلاد فانه يوخذ القرظ فيطحن ويعجن بها الصمغ ثم يقرص

ويختم

LIB. I.

والخنثم ويجفف وشجرته هي السنط وتسمي
الشوكة المصرية وورقها هو القرظ بالحقيقة ويدبغ
به الجلود وعصارة القرظ التي يتخذ منها
الاقاقيا تسمي رب القرظ ونسا مصر يشربون
عصارته ونقيعه للاسهال والسنط شجر عظام
جدا له شوك كثير حديد صلب ابيض وله
ثمر يسمي خروب القرظ مدور مسطوح مشاكل
لحب الترمس الا انه متصل كقرون اللوبيا
وفي داخله حب صغار واذا اتخذ الاقاقيا من
القرظ قبل كمال نضجه كان اكثر قبضا واقوي
علي حبس الطبيعة واذا اتخذ مما استحكم
نضجه لم يقو علي حبس البطن وعلامته ان
يكون شديد السواد مشرق اللون وقال
الدينوري القرظ شجر عظام كشجر الجوز
وخشبه صلب كالحديد واذا قدم اسود
كالابنوس وورقه يشبه ورق التفاح وله حبلة
مثل قرون اللوبيا داخلها حب يوضع في
الموازين ويدبغ بورقه وثمره ومنابته القيعان
والجبال

CAP. II.

والجبال وحبلة القرظ اصغر من علق الطلح
واذا رعته الابل احمرت افواهها واوبارها حتي
ابعارها فتحسبها عصفرا قد جمع وتسمر عليه وما
كان من السقرظ بارض مصر فهو السنط وهو
زكي الوقود قليل الرماد وله برمة صغرا
ليس لها رائحة زكية كبرم العراق

ومن ذلك الغقوص وهو قثا صغار لا يكبر
ولا يعدو اطوله الغتر واكثره في طول الاصبع
وهو انعم من القثا واحلي ولا شك انه صنف
منه وكانه الضغابيس فاما القثد فهو الخيار

ويوجد بمصر بطيخ يسمي العبدلي
والعبدلاوي قيل انه نسب الي عبد الله بن
طاهر والي مصر عن المامون واما المزارعون
فيسمونه البطيخ الدميري منسوب الي دميرة
قرية بمصر وله اعناق ملتوية وقشره خفيف
وطعمه مسيخ قلما يوجد فيه حلو وبندر فيه
ما وزنه ثلثون رطلا واكثر والغالب عليه ما
بين رطل الي عشرة ارطال واهل مصر
يستطيبونه

LIB. I.

يستطيبونه علي البطيخ المولد المسمي عندهم بالخراساني والصيني ويزعمون انه بافع ويأكلونه بالسكر وطعمه اشبه شي بالصنف المسمي بالعراق الشلنق لكنه الذ منه وانعم وشكله شكل يقطين العراق الا ان لونه حسين الصفرة جدا وفي ملمسه حراشة وتخبيش وصغاره قبل ان تبلغ تكون كلون اليقطين وشكله وكطعم القثا لها بطون واعناق وتباع بالفقوص وتسمي العجور واخبرني مزارعه ان العادة جارية بان ينقي حقله كل يوم فما يري مزارعه ان يقطعه صغيرا اخضر قطعه وباعه بالعجور وما يري ان يتركه حتي يكبر ويبلغ ويصفر كان منه البطيخ العبدلي وقلما تجد في بطيخ مصر ما هو صادق الحلاوة لكنه لا يوجد فيه مدود ولا فاسد بل الغالب عليه التفاهة المايية وجميع اصناف البطيخ بها يباع بالميزان سوي البطيخ الاخضر واما البطيخ الاخضر فانه يسمي بالغرب الدلاع وبالشام البطيخ الزبش وبالعراق

وبالعراق البطيخ الرقي ويسمى ايضا الفلسطيني Cap. II.
والهندي واما اليقطين الذي يقصره الجمهور
علي الدبا فيكون بمصر مستطيلا وفي شكل
القثا ويبلغ في طوله الي ذراعين وفي قطره
الي شبر

واما الباقلي الاخضر المسمى عندهم بالفول
فانه يتواصل نحو ستة اشهر وكذلك الورد
والياسمين يدوم جميع السنة لا تزال شجرته
مزهرة ومنه ابيض واصفر والابيض اكثر واعطر
ومنه يتخذ دهن الزنبق بالاسكندرية خاصة

وكذلك الليمون وانما يقل ويكثر نفط
والبنفسج بمصر عطر جدا لكن لا يحسنون
اتخاذ دهنه ولا معجونه والسفرجل بمصر ردي
جدا صغير عفص غال واما تفاحها فلا باس
به وان كان رديا واما رمانها ففي غاية
الجودة الا انه ليس بصادق الحلاوة

واما القراسيا فلا يوجد بمصر بل بالشام
وبلاد الروم وغيرها وانما بمصر صنف من
الاجاص

LIB. I.

الاجاص صغار حامض يسمونه القراسيا ومثل
هذا الصنف بدمشق يسمونه خوخ الدب لان
الاجاص بالشام يسمي خوخا والخوخ دراقنا
والكمثري اجاصا

ومما يكثر بمصر شجر خيار شنبر وهو شجر
عظام شبيه بشجر الخروب الشامي وزهره كبير
اصفر ناضر ذو روا وبهجة فاذا عقد تدلي ثمره
كالمقارع الخضر وبها شجر اللوز والسدر بها
كثير وثمره النبق حلو جدا والنيل يكثر بها
ولكنه دون الهندي

الفصل الثالث
فيما تختص به من الحيوان

من ذلك حضانة الفراريج بالزبل فانه قلما
تري بمصر فراريج عن حضان الدجاجة
وربما لم يعرفوه ايضا وانما ذلك عندهم صناعة
ومعيشة

Cap. III. ومعيشة يتجر فيها ويكتسب منها وتجد في
كل بلد من بلادهم مواضع عدة تعمل ذلك
ويسمي الموضع معمل الفروج وهذا المعمل
ساحة كبيرة يتخذ فيها من البيوت التي ياتي
ذكرها ما بين عشرة ابيات الي عشرين بيتا
في كل بيت الفا بيضة ويسمي بيت الترقيد

وصفته ان يتخذ بيت مربع طوله ثمانية
اشبار في عرض ستة في ارتفاع اربعة ويجعل
له باب في عرضه سعته شبران وعقد في مثله
وتجعل فوق الباب طاقة مستديرة قطرها شبر
ثم تسقف باربع خشبات وفوقها سدة قصب
يعني نسيجا منه وفوقه ساس وهو مشاقة
الكتان وحطبه ومن فوق ذلك الطين ثم
يرصص بالطوب ويطين ساير البيت ظاهره
وباطنه واعلاه واسفله حتي لا يخرج منه بخار
وينبغي ان تتخذ في وسط السقف شباكا
سعته شبر في شبر فهذا السقف يحكي صدر
الدجاجة ثم تتخذ حوضين من طين مخمر
بساس

LIB. I.

بساس طول الحوض ستة اشبار وعرضه شبر
ونصف وسمكه عقدة اصبع وحيطانه نحو اربع
اصابع ويكون هذا الحوض لوحا واحدا تبسطه
علي ارض معتدلة وهذا الحوض يسمي
الطاجن فاذا جف الطاجنان ركبتهما علي
طرفي السقف احدهما علي وجه الباب والاخر
قبالته علي الطرف الاخر تركيبا محكما
واخذت وصولهما بالطين اخذا متقنا وينبغي
ان يكون تعوب الطاجنين علي خشب السقف
بحيث يماسانه وهذان الطاجنان تحاكي بهما
جناحا الدجاجة ثم يفرش البيت بقفة تبن
ويمهد ويفرش فوقه نخ خب او دبس يعني
حصيرا برديا علي مقداره سوا ثم يرصف فوقه
البيض رصفا حسنا بحيث يتماس ولا يتراكب
لتتواصل الحرارة فيه ومقدار ما يسع هذا
البيت المفروض الفا بيضة وهذا الفعل يسمي
الترقيد

صفة

صفة الحضان تبتدي وتسد الباب بان
ترسل عليه لبدا مهندما ثم تسد الطاقة بساس
والشباك ايضا بساس وفوقه زبل حتي لا يبقي
في البيت متنفس للبخار وتلقي في الطاجنين
من زبل البقر اليابس قفتين وذلك ثلث
ويبات وتعقد فيه نار سراج من جميع جهاته
وتهمله ربثما يرجع رمادا وانت تتفقد البيض
ساعة بعد اخري بان تضعه علي عينك وتعتبر
حرارته وهذا الفعل يسمي الذواق فان وجدته
يلذع العين قلبته ثلث تقليبات في ثلث
دفعات تجعل اسفله اعلاه واعلاه اسفله وهذا
يحاكي تقليب الدجاجة للبيض بمنقارها
وتفقدها اياه بعينها وهذا يسمي السماع الاول
فاذا صار الزبل رمادا ازلته وتركته بلا نار الي
نصف النهار ان كان ترقيده بكرة وان كان
ترقيده من اول الليل حرسته الي ان تحمي
وتسمع النار كالسياقة المتقدمة ثم تخلي
الطاجنين من النار الي بكرة ثم تجعل في
الطاجن

LIB. I.

الطاجن الذي علي باب البيت من الزبل ثلثة اقداح وفي الطاجن الذي علي صدر البيت قدحين ونصفا ومد الزبل بهرون غليظ واطرح في كل منهما النار في موضعين منه وكلما خرجت من البيت بعد تفقده فارغ الستر واياك وان تغفل عنه ليلا يخرج البخار ويدخل الهوا فيفسد العمل فاذا كان وقت العشا وصار الزبل رمادا ونزل الدفء التي البيض اسفل البيت نغير الرماد من الطواجن بزبل جديد مثل الاول وانت كل وقت تلمس البيض وتدوته بعينك فان وجدت حرارته زايدة عن الاعتدال تلذع العين فاجعل مكان الثلثة الاكيال لطاجن الباب كيلين وربعا وفي طاجن الصدر كيلين فقط ولا تزال تواصل تغير الرماد وتجديد الزبل والايقاد حتي لا ينقطع الدفء مدة عشرة ايام بمقدار ما تكمل الشخوص بمشية الله وقدرته وذلك نصف عمر الحيوان ثم تدخل

CAP. III.

تدخل البيت بالسراج وترفع البيض واحدة
واحدة وتغيبها بينك وبين السراج فالتي تراها
سودا فغيبها الفرخ والتي تراها شبه شراب اصفر
في زجاج لا عكر فيه فهي لاح بلا بزر وتسمي
الارملة فاخرجها فلا منفعة فيها ثم عدل البيض
في البيت بعد تنقيته واخراج اللاح عنه وهذا
الفعل يسمي التلويح ثم تصبح بعد التلويح
تنقص الزبل من العيار الاول ملء كفك من
كل حوض بكرة ومثله عشية حتي يتصرم
اليوم الرابع عشر ولم يبق من الزبل شي
فحينيذ يكمل الحيوان ويسعر وينفخ فاقطع
اذا النار عنه فان وجدته زايد الحرارة يحرق
العين فافتح الطاقة التي علي وجه الباب
وخلها كذلك يومين ثم ذقه علي عينك
فان وجدته غالب الحرارة فافتح نصف الشباك
وانت مع ذلك تقلبه وتخرج البيض الذي
في الصدر الي جهة الباب والبيض الذي في
جهة الباب ترده الي الصدر حتي يحمي
البارد

Lib. I.

البارد الذي كان في جهة الباب ويسترلج الحار الذي في الصدر بشم الهوا فيصير في طريقة الاعتدال ساعة يحمي وساعة يبرد فيعتدل مزاجه وهذا الفعل يسمي الحضانة كما يفعل الطير سوا وتستمر علي هذا التدبير دفعتين في النهار ودفعة في الليل الي تمام تسعة عشر يوما فان الحيوان ينطق في البيض بقدرة الله تعالي وفي يوم العشرين يطرح بعضه ويكسر القشر ويخرج وهذا يسمي التطريح وعند تمام اثنين وعشرين يوما يخرج جميعه واحمد الاوقات عاقبة لعمله امشير وبرمهات وبرمودة وذلك في شباط واذار ونيسان لان البيض في هذا المدة يكون غزير الما كثير البزرة صحيح المزاج والزمان معتدل صالح للنشو والكون وينبغي ان يكون البيض طريا وفي هذه الاشهر يكثر البيض ايضا

ومن ذلك الحمير والحمير بمصر فارهة جدا وتركب بالسروج وتجري مع الخيل والبغال

والبغال النفيسة ولغلها تسبغها وهي مع
زلك كثيرة العدد ومنها ما هو عال بحيث
اذا ركب بسرج اختلط مع البغلات يركبه
روسا اليهود والنصاري يبلغ ثمن الواحد منها
عشرين دينارا الي اربعين

واما بقرهم فعظيمة الخلق حسنة الصور
ومنها صنف هو احسنها واغلاها قيمة يسمي
البقر الخيسية وهي زوات قرون كانها القسي
غزيرات اللبن

واما خيلها فعتاق سابقة ومنها ما يبلغ
ثمنه الف دينار الي اربعة الاف وهم ينزون
الخيل علي الحمير والحمير علي الخيل فتاتي
البغلة وامها اتان ولكن هذا البغال لا تكون
عظيمة الخلق كالتي اماتها حجورة لان الام
هي التي تعطي المادة

ومن زلك التماسيح والتماسيح كثيرة في
النيل وخاصة في الصعيد الاعلي وفي الجنادل
فانها تكون في الما وبين صخور الجنادل
كالدود

Lib. I.

كالدنون كثيرة وتكون كبارا وصغارا وينتهي
في الكبر الي نيف وعشرين ذراعا طولا وتوجد
في سطح جسده مما يلي بطنه سلعة كالبيضة
تحتوي علي رطوبة دموية وهي كنافجة المسك
في الصورة والطيب وخبرني الثقة انه يندر
فيها ما يكون في علو المسك لا ينقص عنه
شيا والتمساح يبيض بيضا شبيها ببيض الدجاج
ورايت في كتاب منسوب الي ارسطو ما هذه
صورته قال التمساح كبده تهيج الجماع وكليتاه
وشحمه في ذلك ابلغ ولا يعمل في جلده
الحديد ومن فقار رقبته الي ذنبه عظم واحد
ولهذا اذا انقلب علي ظهره لم يقدر ان يرجع
قال ويبيض بيضا طويلا كالاوز ويدفنه في
الرمل فاذا اخرج كان كالحرازين في
جسمها وخلقتها ثم يعظم حتي يكون عشر اذرع
وازيد ويبيض ستين بيضة لان خلقته تجري
علي ستين سنا وستين عرقا واذا سفد امني
ستين مرة وقد يعيش ستين سنة

ومن

Cap. III.

ومن ذلك الدلغين ويوجد في النيل
وخاصة قرب تنيس ودمياط

ومن ذلك الاسقنقور ويكون بالصعيد
وباسوان كثيرا ويكون من تناج التمساح في
البر وهو صنف من الورل بل هو ورل الا
انه قصير الذنب والورل وتمساح والحرذون
والاسقنقور وسمكة صيدا لها كلها شكل واحد
وانما تختلف بالصغر والكبر والتمساح اعظمها
وسمكة صيدا اصغرها تكون بقدر الاصبع
وتصلح لما يصلح له الاسقنقور من تسخين الاعضا
والانعاظ وكان التمساح ورل بحري والورل
تمساح بري والجميع يبيض بيضا والسقنقور
يكون بشطوط النيل ومعيشته في البحر
السمك الصغار وفي البر العظا ونحوه ويسترط
غذاه استراطا ويوجد لذكورته خصيان
كخصيي الديكة وفي مقدارها ومواضعها
واناثه تبيض فوق العشرين بيضة وتدفنها في
الرمل فيكمل كونها بحرارة الشمس فعلي هذا
انما

LIB. I.

انما هو نوع براسه وقال ديسقوريدس انه يكون
بنواحي القلزم وبمواضع من بلاد الهند وبلاد
الحبشة ويفارق الورل بماواه فان الورل جبلي
والسقنقور بري ماي لانه يدخل في ما النيل
ثم ان ظهر الورل خشن صلب وظهر السقنقور
لين ناعم ولون الورل اصفر اغبر ولون السقنقور
مدبج بصفرة وسواد والمختار من الاسقنقور انما
هو الذكر دون الانثي ويصاد في الربيع لانه
وقت هيجانه للسفاد فاذا اخذ ذبح في مكانه
وتقطعت اطرافه ولا يستقصي قطع ذنبه ويشق
جوفه ويخرج حشوته الا كشيته وكلاه ثم
يحشي ملحا ويخاط ويعلق في الظل حتي
يجف ويرفع ويسقي من كلاه ومتنه وشحمه
وسرته من مثقال الي ثلثة مثاقيل بما العسل
او بمطبوخ او بصفرة بيض نيمرشت وحده
او مع بزر جرجير وخصي ديوك مجفف مدقوق
وقد يفعل ملحه ذلك اذا خلط بالادوية
البايية

Cap. III.

البابسية وقد يركب مع غيره من الادوية الا ان استعماله مفردا اقوي له

ومن زلك فرس البحر وهذه توجد باسفل الارض وخاصة ببحر دمياط وهو حيوان عظيم الصورة هايل المنظر شديد الباس يتتبع المراكب فيغرقها ويهلك من ظفر به منها وهو بالجاموس اشبه منه بالفرس لكنه ليس له قرن وفي صوته صحلة يشبه صهيل الفرس بل البغل وهو عظيم الهامة هريت الاشداق حديد الانياب عريض الكلكل منتفج الجوف قصير الارجل شديد الوثب قوي الدفع مهيب الصورة مخوف الغايلة وخبرني من اصطادها مرات وشقها وكشف عن اعضايها الباطنة والظاهرة انها خنزير كبير وان اعضاها الباطنة والظاهرة لا تغادر من صورة الخنزير شيا الا في عظم الخلقة ورايت في كتاب نيطواليس في الحيوان ما يعضد زلك وهذه صورته قال خنزيرة الما تكون في بحر مصر وهي تكون في عظم الفيل وراسها

LIB. I.

وراسها يشبه راس البغل ولها شبه خف الجمل
قال وشحم متنها ازا ازيب ولت بسويق وشربته
امراة اسمنها حتي تجوز المقدار وكانت واحدة
ببحر دمياط قد ضربت علي المراكب تغرقها
وصار المسافر في تلك الجهة مغررا وضربت
اخري بجهة اخري علي الجواميس والبقر
وبني ادم تقتلهم وتفسد الحرث والنسل واعمل
الناس في قتلها كل حيلة من نصب الحبايل
الوثيقة وحشد الرجال باصناف السلاح وغير
زلك فلم يجد شيا فاستدعي بنفر من المريس
صنف من السودان زعموا انهم يحسنون
صيدها وانها كثيرة عندهم ومعهم مزاريق
فتوجهوا نحوها فقتلوها في اقرب وقت وباهون
سعي واتوا بها الي القاهرة فشاهدتها فوجدت
جلدها اسود اجرد ثخينا جدا وطولها من
راسها الي زنبها عشر خطوات معتدلات وهي
في غلظ الجاموس نحو ثلث مرات وكذلك
رقبتها وراسها وفي مقدم فيها اثنا عشر نابا
ستة

ستة من فوق وستة من اسغل المتطرفة منها
نصف ذراع زايد والمتوسطة انقص بقليل وبعد
الانياب اربعة صغوف من الاسنان علي خطوط
مستقيمة في طول الغم في كل صف عشرة
كامثال بيض الدجاج المصطف صغان في
الاعلي وصغان في الاسغل علي مقابلتهما واذا
فغر فوها وسع شاة كبيرة وذنبها في طول
نصف ذراع زايد اصله غليظ وطرفه كالاصبع
اجرد كانه عظم شبيه بذنب الورل وارجلها
قصار طولها نحو ذراع وثلث ولها شبيه بخف
البعير الا انه مشقوق الاطراف باربعة اقسام
وارجلها في غاية الغلظ وجملة جثتها كانها
مركب مكبوب لعظم منظرها وبالجملة هي
اطول واغلظ من الغيل الا ان ارجلها اقصر من
ارجل الغيل بكثير ولكن في غلظها او
اغلظ منها

ومن ذلك السمكة المعروفة بالرعاد لانه
من امسكها وهي حية ارتعد رعدة لا يمكنه
معها.

LIB. I.

معها ان يتماسك وهي رعدة بقرة وخدر شديد
وتنمل في الاعضا وثقل بحيث لا يقدر ان
يملك نفسه ولا ان يمسك بيده شيا اصلا
ويتراقي الخدر الي عضده وكتفه والي
جنبه باسرة حين ما يلمسها ايسر لمس في
اسرع وقت وخبرني صيارها انها اذا وقعت في
الشبكة اعتري الصياد ذلك اذا بقي بينه
وبينها مقدار شبر او اكثر من غير ان يضع
يده عليها وهي اذا ماتت بطلت هذه الخاصة
منها وهي من السمك الذي لا تفليس له
ولحمها قليل الشوك كثير الدسم ولها جلد
ثخين في ثخن الاصبع ينسلخ عنها بسهولة
ولا يمكن اكله ويوجد فيها الصغير والكبير
ما بين رطل الي عشرين رطلا وذكر من
يكثر السباحة بنواحيها انها اذا نفحت بدن
السابح خدر الموضع اين كان ساعة بحيث
يكاد يسقط ويكثر باسافل الارض وبالاسكندرية
واما

واما اصناف السمك عندهم فكثيرة لانه يجتمع اليهم سمك النيل وسمك البحر الملح ولا يفي القول بنعتها لكثرة اصنافها واختلاف اشكالها والوانها ومنها الصنف المسمي عندهم ثعبان الما وهي سمكة كالحية سوا طولها ما بين ذراع الي ثلث اذرع

ومنها السرب وهي سمكة تصاد من بحر الاسكندرية يحدث لاكلها احلام ردية مفزعة ولا سيما الغريب ومن لم يعتدها والاحدوثات المضحكة فهي مشهورة

ومن ذلك الترسة وتسمي لجاة وهي سلحفاة عظيمة وزنها نحو اربعة قناطير الا ان جفنتها اعني عظم ظهرها كالترس له افاريز خارجة عن جسمها نحو الشبر ورايتها بالاسكندرية يقطع لحمها ويباع كلحم البقر وفي لحمها الوان مختلفة ما بين اخضر واحمر واصفر واسود وغير ذلك من الالوان وتخرج من جوفها نحو اربعماية بيضة كبيض الدجاج سوا الا انه لين

لبين القشر واتخذت من بعضها عجة فلما
جهد صار الوانا ما بين اخضر واحمر واصغر
شبيها بالوان اللحم

ومن ذلك الدلينس وهو صدف مستدير
الي الطول اكبر من الظفر ينشق عن رطوبة
مخاطية بيضا ذات نكتة سودا يعافها الناظر
وفيه ملوحة عذبة زعموا ويباع بالكيل

الفصل الرابع

في اقتصاص ما شوهد من اثارها القديمة

اما ما يوجد بمصر من الاثار القديمة
فشي لم ار ولم اسمع بمثله في
غيرها فاقتصر علي اعجب ما شاهدته

فمن ذلك الاهرام وقد اكثر الناس من
ذكرها ووصفها ومساحتها وهي كثيرة العدد

CAP. IV.

جدا وكلها ببر الجيزة وعلي سمت مصر القديمة
ويمتد في نحو مسافة يومين وفي بوصير
منها شي كثير وبعضها كبار وبعضها صغار
وبعضها طين ولبن واكثرها حجر وبعضها مدرج
واكثرها مخروط املس وقد كان منها بالجيزة
عدد كثير لكنها صغار فهدمت في زمن صلاح
الدين يوسف بن ايوب علي يدي قراقوش
بعض الامرا وكان خصيا روميا سامي الهمة
وكان يتولي عماير مصر وهو الذي بني السور
من الحجارة محيطا بالفسطاط والقاهرة وما
بينهما وبالقلعة التي علي المقطم وهو ايضا
الذي بني القلعة وانبط فيها البيرين الموجودتين
اليوم وهما ايضا من العجايب وينزل اليهما
بدرج نحو ثلثماية درجة واخذ حجارة هذه
الاهرام الصغار وبني بها القناطر الموجودة اليوم
بالجيزة وهذه القناطر من الابنية العجيبة ايضا
ومن اعمال الجبابرة وتكون نيفا واربعين
قنطرة وفي هذه السنة وهي سنة سبع
وتسعين

LIB. I.

وتسعين وخمس مـايـة تولي امرهـا من لا
بصيرة عنده فسدها رجا ان يحتبس الما فيروي
الجيزة فقويت عليـها جرية الما فـزلزلت منها
ثلث قناطر وانشقت ومع ذلك فلم يرو ما رجا
ان يروي وقد بقي من هذه الاهرام المهدومة
قلبها وحشوتها وهي ردم وحجارة صغار لا تصلح
للقناطر فلاجل ذلك تركت

واما الاهـرام المتحدث عنها المشار اليها
الموصوفة بالعظم فثلثة اهرام موضوعة علي خط
مستقيم بالجيزة قبالة الفسطاط وبينها مسافات
يسيرة وزواياها متقابلة نحو المشرق واثنان منها
عظيمان جدا وفي قدر واحد وبهما اولع الشعرا
وشبهوهـما بنهدين قد نهدا في صدر الديار
المصرية وهما متقاربان جدا ومبنيان بالحجارة
البيض واما الثالث فينقص عنهما بنحو الربع
لكنه مبني بحجارة الصوان الاحمر المنـقط
الشديد الصلابة ولا يوثر فيه الحديد الا في
الزمن الطـويـل وتجده صغيرا بالقياس الي

زينك

CAP. IV.

زينك فاذا قربت منه وافردته بالنظر هالك
مراه وحسر الطرف عند تامله وقد سلك في
بناية الاهرام طريق عجيب من الشكل
والاتقان ولذلك صبرت علي مهر الزمان بل
علي مهرها صبر الزمان فانك اذا تبحرتها
وجدت الاذهان الشريفة قد استهلكت فيها
والعقول الصافية قد افرغت عليها مجهودها
والانفس النيرة قد افاضت عليها اشرف ما
عندها لها والملكات الهندسية قد اخرجتها
الي الفعل مثلا هي غاية امكانها حتي انها
تكاد تحدث عن قومها وتخبر بحالهم وتنطق
عن علومهم وازهانهم وتترجم عن سيرهم
واخبارهم وذلك ان وضعها علي شكل مخروط
يبتدي من قاعدة مربعة وينتهي الي نقطة
ومن خواص الشكل المخروط ان مركز ثقله
في وسطه وهو يتساند علي نفسه ويتواقع
علي ذاته ويتحامل بعضه علي بعض فليس
له جهة اخري خارجة عنه يتساقط عليها ومن
عجيب

LIB. I.

عجيب وضعه انه شكل مربع قد قوبل بزواياه مهاب الرياح الاربع فان الريح تنكسر سورتها عند مصادمتها الزاوية وليست كذلك عند ما تلقي السطح

ولنرجع الي ذكر الهرمين العظيمين فان المساح ذكروا ان قاعدة كل منهما اربع ماية ذراع طولا في مثلها عرضا وارتفاع عمودها اربع ماية ذرع وذلك كله بالذراع السودا وينقطع المخروط في اعلاه عند سطح مساحته عشر اذرع في مثلها واما الذي شاهدته من حالهما فان راميا كان معنا رمي سهما في قطر احدهما وفي سمكه فسقط السهم دون نصف المسافة وخبرنا ان في القرية المجاورة لهما قوما قد اعتادوا ارتقا الهرم بلا كلفة فاستدعينا رجلا منهم ورضخنا له بشي فجعل يصعد فيها كما يرقي احدنا في الدرج بل اسرع ورقي بنعليه واثوابه وكانت سابغة وكنت امرته انه اذا استوي علي سطحه قاسه بعمامته

فلما

Cap. IV.

فلما نزل زرعنا من عمامته مقدار ما كان
قاس فكان احدي عشرة زراعا بذراع اليد
ورايت بعض ارباب القياس قال ارتفاع عموده
ثلثماية زراع ونحو سبع عشرة زراعا بحيط به
اربعة سطوح مثلثات الاضلاع طول كل ضلع
منها اربع ماية زراع وستون زراعا واري هذا
القياس خطا ولو جعل العمود اربع ماية زراع
لصح قياسه وان ساعدت المقادير توليت قياسه
بنفسي وفي احد هذين الهرمين مدخل يلجه
الناس يفضي بهم الي مسالك ضيقة واسراب
متنافذة وابار ومهالك وغير ذلك مما يحكيه
من يلجه ويتوغله فان ناسا كثيرين لهم غرام
به وتخيل فيه فيوغلون في اعماقه ولا بد ان
ينتهوا الي ما يعجزون عن سلوكه واما
المسلوك فيه المطروق كثيرا فزلاقة تفضي الي
اعلاه فيوجد فيه بيت مربع فيه ناووس من
حجر وهذا المدخل ليس هو الباب المتخذ له
في اصل البناء وانما هو منقوب نقبا صودف
اتفاقا

LIB. I.

اتفاقا وذكر ان المامون هو الذي فتحه وجل
من كان معنا ولجوا فيه وصعدوا الي البيت
الذي في اعلاه فلما نزلوا حدثوا بعظيم ما
شاهدوا وانه مملوء بالخفافيش وابوالها حتي
يكاد يمنع السالك ويعظم فيها الخفاش حتي
يكون في قدر الحمام وفيه طاقات وروازن
نحو اعلاه وكانها جعلت مسالك للريح ومنافذ
للضوء وولجته مرة اخري مع جماعة وبلغت
نحو ثلثي المسافة فاغمي علي من هول المطلع
فرجعت برمق

وهذه الاهرام مبنية بحجارة جافية يكون
طول الحجر منها ما بين عشر اذرع الي
عشرين ذراعا وسمكه ما بين ذراعين الي
ثلث وعرضه نحو ذلك والعجب كل العجب
في وضع الحجر علي الحجر بهندام ليس في
الامكان اصح منه بحيث لا تجد بينهما مدخل
ابرة ولا خلل شعرة وبينهما طين كانه الورقة لا
ادري ما صنعه ولا ما هو وعلي تلك الحجرة
كتابات

IV. كتابات بالقلم القديم المجهول الذي لم اجد
بديار مصر من يزعم انه سمع بمن يعرفه وهذه
وهذه الكتابات كثيرة جدا حتي لو نقل ما
علي الهرمين فقط الي صحف لكانت زهاء
عشرة الاف صحيفة وقرات في بعض كتب
الصابية القديمة ان احد هذين الهرمين هو
قبر اغاذيمون والاخر قبر هرميس ويزعمون انهما
نبيان عظيمان وان اغاذيمون اقدم واعظم وانه
كان يحج اليهما ويهوي نحوهما من اقطار
الارض وقد وسعنا القول في المنقول في الكتاب
الكبير فمن اراد التوسعة فعليه به فان هذا
الكتاب مقصور علي المشاهد

وكان الملك العزيز عثمن بن يوسف لما
استقل بعد ابيه سول له جهلة اصحابه ان
يهدم هذه الاهرام فبداء بالصغير الاحمر وهو
ثالثة الاثافي فاخرج اليه الحلبية والنقابين
والحجارين وجماعة من عظماء دولته وامراء
مملكته وامرهم بهدمه ووكلهم بخرابه فخيموا
عندها

عندها وحشروا عليها الرجال والصناع ووفروا Lin. 1
عليهم النفقات واقاموا نحو ثمانية اشهر
بخيلهم ورجلهم يهدمون كل يوم بعد بذل
الجهد واستفراغ الوسع الحجر والحجرين فقوم
من فوق يدفعونه بالاسافين والامخال وقوم
من اسفل يجذبونه بالقلوس والاشطان فاذا
سقط سمع له وجبة عظيمة من مسافة بعيدة
حتي ترجف له الجبال وتزلزل الارض ويغوص
في الرمل فيتعبون تعبا اخر حتي يخرجوه
ثم يضربون فيه الاسافين بعد ما ينقبون لها
موضعا ويبيتونها فيه فيتقطع قطعا فتسحب كل
قطعة علي العجل حتي تلقي في ذيل الجبل
وهي مسافة قريبة فلما طال ثواوهم ونفدت
نفقاتهم وتضاعف نصبهم ووهت عزايمهم وخارت
قواهم كفوا محسورين مذمومين لم ينالوا بغية
ولا بلغوا غاية بل كانت غايتهم ان شوهوا الهرم
وابانوا عن عجز وفشل وكان ذلك في سنة
ثلث وتسعين وخمس ماية ومع ذلك فان

CAP. IV.

الرابع لحجارة الهدم يظن ان الهرم قد
استوصل فاذا عاين الهرم ظن انه لم يهدم منه
شي وانما جانب منه كشط بعضه وحين ما
شاهدت المشقة التي يجدونها في هدم كل
حجر سالت مقدم الحجرين فقلت له لو بذل
لكم الف دينار علي ان تردوا حجرا واحدا
الي مكانه وهندامه هل كان يتهكنكم ذلك
فاقسم بالله تعالي انهم ليعجزون عن ذلك
ولو بذل لهم اضعافه

وبازا الاهرام من الضفة الشرقية
مغاير كثيرة العدد كبيرة المقدار
عميقة الاغوار متداخلة وفيها ما هو ذو طبقات
ثلث وتسمي المدينة حتي لعل الفارس يدخلها
برمحه ويتخللها يوما اجمع ولا ينهيها لكثرتها
وسعتها وبعدها ويظهر من حالها انها مقاطع
حجارة الاهرام واما مقاطع حجارة الصوان الاحمر
فيقال انها بالقلزم وباسوان

وعند

I وعند هذه الاهرام اثار ابنية جبارة ومغاير
كثيرة متقنة وقلما تري من ذلك شيا الا
وتري عليه كتابات بهذا القلم المجهول

وعند هذه الاهرام باكثر من
غلوة صورة راس وعنق بارزة من الارض في
غاية العظم يسميه الناس ابا الهول ويزعمون
ان جثته مدفونة تحت الارض ويقتضي
القياس ان تكون جثته بالنسبة الي راسه
سبعين ذراعا فصاعدا وفي وجهه حمرة ودهان
احمر يلمع عليه رونق الطراة وهو حسن الصورة
مقبولها عليه مسحة بهاء وجمال كانه يضحك
تبسما وسالني بعض الفضلا ما اعجب ما رايت
فقلت تناسب وجه ابي الهول فان اعضا وجهه
كالانف والعين والاذن متناسبة كما تصنع
الطبيعة الصور متناسبة فان انف الطفل مثلا
مناسب له وهو حسن به حتي لو كان ذلك انف
الانف لرجل كان مشوها به وكذلك لو كان
انف الرجل للصبي لتشوهت صورته وعلي هذا

Cap. IV.

ساير الاعضا فكل عضو ينبغي ان يكون علي مقدار وهية بالقياس الي تلك الصورة وعلي نسبتها فان لم توجد المناسبة تشوهت الصورة والعجب من مصوره كيف قدر ان يحفظ نظام التناسب في الاعضا مع عظمها وانه ليس في اعمال الطبيعة ما يحاكيه ويتقيله

ومن ذلك الاثار التي بعين شمس وهي مدينة صغيرة يشاهد سورها محدتا يها مهدوما ويظهر من امرها انها قد كانت بيت عبادة وفيها من الاصنام الهايلة العظيمة الشكل من نحيت الحجارة يكون طول الصنم زهاء ثلثين ذراعا واعضاوه علي تلك النسبة من العظم وقد كان بعض هذه الاصنام قايما علي قواعد وبعضها قاعدا بنصبات عجيبة واتقانات محكمة وباب المدينة موجود الي اليوم وعلي معظم تلك الحجارة تصاوير الانسان وغيره من الحيوان وكتابات كثيرة بالقلم المجهول وقلما تري حجرا غفلا من كتابة

او

Lib. I. او نقش او صورة وفي هذه المدينة المسلتان المشهورتان وبسميان مسلتي فرعون وصفة المسلة ان قاعدة مربعة طولها عشر اذرع في مثلها عرضا في نحوها سمكا قد وضعت علي اساس ثابت في الارض ثم اقيم عليها عمود مربع مخروط ينيف طوله علي ماية ذراع يبتدي من قاعدة لعل قطرها خمس اذرع وينتهي الي نقطة وقد لبس راسها بقلنسوة نحاس الي نحو ثلث اذرع منها كالقمع وقد تزنجر بالمطر وطول المدة واخضر وسال من خضرته علي بسيط المسلة والمسلة كلها عليها كتابات بذلك القلم ورايت احدي المسلتين وقد خرت وانصدعت من نصفها لعظم الثقل واخذ النحاس من راسها ثم ان حولها من المسال شيا كثيرا لا يحصي عددها مقاديرها علي نصف تلك العظمي او ثلثها وقلها تجد في هذه المسال الصغار ما هو قطعة واحدة بل فصوصا بعضها علي بعض وقد تهدم اكثرها وانها

Cap. IV. وانها بقيت قواعدها ورايت بالاسكندرية
مسلتين علي سيف البحر في وسط العمارة
اكبر من هذه الصغار واصغر من العظيمتين

واما البرابي بالصعيد فالحكاية عن عظمها
واتقان صنعتها واحكام صورها وعجايب ما فيها من
الاشكال والنقوش والتصاوير والخطوط مع احكام
البناء وجفاء الالات والاحجار مما يفوت الحصر
وهي من الشهرة بحيث تستغني عن الاطالة
في الصفة

ورايت بالاسكندرية عمود السواري
وهو عمود احمر منقط من الحجر المانع الصوان
عظيم الغلظ جدا شاهق الطول لا يبعد ان
يكون طوله سبعين ذراع وقطره خمس اذرع
وتحته قاعدة عظيمة تناسبه وعلي راسه قاعدة
اخري عظيمة وارتفاعها عليه بهندام تفتقر
الي قوة في العلم برفع الاثقال وتمهر في
الهندسة العملية وخبرني بعض الثقات انه
قاس دوره فكان خمسا وسبعين شبرا بالشبر
التام

الشام ثم اني رايت بشاطي البحر مما يلي سور L.I.
المدينة اكثر من اربع ماية عمود مكسرة انصافا
واثلاثا حجرها من جنس حجر عمود السواري
علي الثلث منه او الربع وزعم اهل الاسكندرية
قاطبة انها كانت منتصبة حول عمود السواري
وان بعض ولاة الاسكندرية واسمه قراجا كان
واليا عن يوسف بن ايوب فراي هدم هذه
السواري وتكسيرها والقاها بشاطي البحر زعم
ان ذلك يكسر سورة الموج عن سور المدينة
او ان يمنع مراكب العدو تسند اليه وهذا
من عبث الولدان ومن فعل من لا يفرق
بين المصلحة والمفسدة ورايت ايضا حول عمود
السواري من هذه الاعمدة بقايا صالحة بعضها
صحيح وبعضها مكسور ويظهر من حالها انها
كانت مسقوفة والاعمدة تحمل السقف وعمود
السواري عليها قبة هو حاملها واري انه الرواق
الذي كان يدرس فيه ارسطوطاليس وشيعته
من بعده وانه دار العلم الذي بناه الاسكندر
حين

CAP. IV.

حين بني مدينته وفيها كانت خزانــة الكتب
التي حرقها عمرو بن العاص باذن عمر رضي
الله عنه

واما المنــارة فحالها مشهور يغني عن
وصفها وذكر ذوو العناية ان طولها مايتا ذراع
وخمسون ذراع وقرات بخط بعض المحصلين انه
قاس العمود بقاعدتيه فكان اثنتين وستين
ذراع وسدس ذراع وهو علي جبل طوله ثلث
وعشرون ذراع ونصف ذراع فصارت جملة ذلك
خمسا وثمنين ذراعا وثلثي ذراع وطول القاعدة
السفلي اثــنــتــا عشرة ذراعا وطول القاعدة
العليا سبع اذرع ونصف ذراع وقاس ايضا المنارة
فوجدها مايتي ذراع وثــلــثــين ذراعا وهي
ثلث طبقات الطبقــة الاولي مربعة وهي ماية
ذراع واحدي وعشرون ذراعا والطبقــة الثانية
مثمنة وطولــهــا احدي وثمنون ذراعا ونصف
ذراع والطبقة الثالــثــة مدورة وطولها احدي
وثلثون

وثلثون ذراعا ونصف ذراع وفوق ذلك مسجد
ارتفاعه نحو عشر اذرع

ومن ذلك الاثار التي بمصر القديمة وهذه المدينة بالجيزة فويق الفسطاط وهي منف التي كان يسكنها الفراعنة وكانت مستقرا مملكة ملوك مصر واياها عني بقوله تعالي عن موسي عليه السلم ودخل المدينة علي حين غفلة من اهلها وبقوله تعالي فخرج منها خايفا يترقب لان مسكنه عليه السلم كان بقرية بالجيزة قريبة من المدينة تسمي دموه وبها اليوم دير لليهود ومقدار خرابها اليوم مسيرة نصف يوم في نحوه وقد كانت عامرة في زمن ابرهيم ويوسف وموسي عليهم السلم وقبلهم بما شا الله تعالي وبعدهم الي زمن بخت نصر فانه اخرب ديار مصر وبقيت علي خرابه اربعين سنة وسبب اخرابه اياها ان ملكها عضد منه اليهود حين التجوا الي مصر ولم يمكن منهم بخت نصر فقصده بخت

CAP. IV.

نصر واباد دياره ثم جا الاسكندر بعد ذلك
واستولي عليها وعمر بها الاسكندرية وجعلها مقر
الملك ولم تزل علي ذلك الي ان جا الاسلام
ففتحت علي يد عمرو بن العاص وجعل مقر
الملك بالفسطاط ثم جا المعز من المغرب وبني
القاهرة وجعلها مقر الملك الي اليوم وقد ذكرنا
ذلك مشروحا مفصلا في الكتاب الكبير

ولنرجع الي وصف منف المسماة مصر القديمة
فهذه المدينة مع سعتها وتقادم عهدها وتداول
الملل عليها واستيصال الامم اياها من تعفية
اثارها ومحو رسومها ونقل حجارتها والاتها وافساد
ابنيتها وتشويه صورها مضافا الي ما فعلته فيها
اربعة الاف سنة فصاعدا تجد فيها من
العجايب ما يفوت فهم الفطن المتامل ويحصر
دون وصفه البليغ اللسن وكلما زدته تاملا
زادك عجبا وكلما زدته نظرا زادك طربا
ومهما استنبطت منه معني انباك بما هو اغرب

ومهما

LIB. I.

ومهما استنثرت منه علما زلك علي ان وراه ما هو اعظم

فمن زلك البيت المسمي بالبيت الاخضر وهو حجر واحد تسع اذرع ارتفاعا في ثمان طولا في سبع عرضا قد حفر في وسطه بيت قد جعل سمك حيطانه وسقفه وارضه زراعين زراعين والباقي فضاء البيت وجميعه ظاهرا وباطنا منقوش ومصور ومكتوب بالقلم القديم وعلي ظاهره صورة الشمس مما يلي مطلعها وصور كثير من الكواكب والافلاك وصور الناس والحيوان علي اختلاف من النصبات والهيات فمن بين قايم وماش وماد رجليه وصافهما ومستمر للخدمة وحامل الات ومشير بها ينبيء ظاهر الامر انه قصد بذلك محاكاة امور جليلة واعمال شريفة وهيات فاضلة واشارات الي اسرار غامضة وانها لم تتخذ عبثا ولم يستفرغ في صنعتها الوسع لمجرد الزينة والحسن وقد كان هذا البيت ممكنا علي قواعد من حجارة الصوان العظيمة

CAP. IV.

العقلية الوثيقة فحفر تحتها الجهلة والحمقي
طمعا في المطالب فتغير وضعه وفسد هنداسه
واختلف مركز ثقله وثقل بعض علي بعض
فتصدع صدوعا لطيفة يسيرة وهذا البيت قد
كان في هيكل عظيم مبني بحجارة عاتية
جافية علي اتقن هندام واحكم صنعة وفيها
قواعد علي عمد عظيمة وحجارة الهدم متواصلة
في جميع اقطار هذا الخراب وقد بقي في
بعضها حيطان ماثلة بتلك الحجارة الجافية
وفي بعضها اساس وفي بعضها اطلال ورايت
عقد باب شاهقا ركناه حجران فقط وازجه
حجر واحد قد سقط بين يديه وتجد هذه
الحجارة مع الهندام المحكم والوضع المتقن قد
حفر بين الحجرين منها نحو شبر في ارتفاع
اصبعين وفيه صداء النحاس وزنجرته فعلمت
ان ذلك قيود لحجارة البنا وتوثيق لها وربطاته
بينها بان يجعل بين الحجرين ثم يصب عليه
الرصاص وقد تتبعها الانذال المحدودون
فقلعوا

LIB. I.

فقلعوا منها ما شا الله تعالي وكسروا لاجلها
كثيرا من الحجارة حتي يصلوا اليها ولعمر الله
لقد بذلوا الجهد في استخلاصها وابانوا عن
تهكن من اللوم وتوغل في الخساسة

واما الاصنام وكثرة عددها وعظم صورها
فامر يفوت الوصف ويتجاوز التقدير واما اتقان
اشكالها واحكام هياتها والمحاكاة بها الامور
الطبيعية فموضع التعجب بالحقيقة فمن ذلك
صنم ذرعناه سوي قاعدته فكان نيفا وثلثين
ذراعا وكان مداه من جهة اليمين الي اليسار
نحو عشر اذرع ومن جهة الخلف الي الامام
علي تلك النسبة وهو حجر واحد من الصوان
الاحمر وعليه من الدهان الاحمر كانه لم يزده
تقادم الايام الا جدة والعجب كل العجب
كيف حفظ فيه مع عظمه النظام الطبيعي
والتناسب الحقيقي وانت تعلم ان كل واحد
من الاعضا الالية المتشابهة له في نفسه
مقدار ما وله الي ساير الاعضا نسبة ما بذلك
المقدار

المقدار وبتلك النسبة يحصل حسن الهيية
وملاحة الصورة فان اختل شي من زلك حدث
من القبح بمقدار الخلل وقد احكم في هذه
الاصنام هذا النظام احكاما اي احكام فمن
زلك مقادير الاعضا في نفسها ثم نسب
بعضها الي بعض فانك تري الصنم قد ابتدي
بانفصال صدره عن عنقه عند الترقوة بتناسب
بليغ ثم تاخذ الصدر في ارتفاع الترايب الي
ثندوتين فيرتفعان عما دونهما ويفرزان عن
ساير الصدر بنسبة عجيبة ثم يعلوان الي حد
الحلمة ثم تصور الحلمة مناسبة لتلك الصورة
الهايلة ثم تنحدر الي الموضع المطبين عند
القص وفرجة النور وزر القلب والي تجعيد
الاضلاع والتوابها كما هو موجود في الحيوان
الحقيقي ثم تنحدر الي مقاط الاضلاع ومراق
البطن والتوا العصب وعضل البطن يمينا وشمالا
وتوترها وارتفاعها وانخفاض ما دون السرة مما
يلي الاقراب ثم تحقيق السرة وتوتر العضل حولها
ثم

LIB. I.

ثم الانحدار الي الثنــة والحالبــين وعروق
الحالب والخـــروج منه الي عظمي الوركين
وكذلك تجد انفصال الكتف واتصاله بالعضد
ثم بالساعد وانفـتــال حبل الذراع والكوع
والكرسوع وابرة المرفق ونهري مفصل الساعد
من العضد وعضل الساعد ورطوبة اللحم
وتوتر العصب وغير ذلك مما يطول شرحه وقد
صور كف بعضها قابــضا به علي عمود قطره
شبر كانه كتاب وصورت الغضون والاسارير
التي تحدث في جلدة الكف مما يلي الخنصر
عند ما يـقــبـض الانسان كفه واما حسن
اوجهها وتـناسبها فعلي اكمل ما في القوي
البشرية ان تفعله واتم ما في المواد الحجرية
ان تقبله ولم يــبـق الا صــورة اللحم والدم
وكذلك صورة الاذن وحتارها وتعاريجها علي
غاية التمثيل والتخــيــيل

ورايــت اســديــن مـتـقـابلين بينهما
امــد قــريــب وصــورهــا هــايــلــة جــدا
وقد

Cap. IV. وقد حفظ فيها النظام الطبيعي والتناسب الحيواني مع كونها اعظم جثة من الحيوان الحقيقي جدا جدا وقد تكسرا وردما بالتراب ووجدنا من سور المدينة قطعة صالحة مبنية بالحجارة الصغار والطوب وهذا الطوب كبير جاف مطاول الشكل ومقداره نصف الاجر الكسروي بالعراق كما ان طوب مصر اليوم نصف اجر العراق اليوم ايضا

واذا راي اللبيب هذه الاثار عذر العوام في اعتقادهم علي الاوايل بان اعمارهم كانت طويلة وجثثهم عظيمة او انه كان لهم عصا اذا ضربوا بها الحجر سعي بين ايديهم وذلك لان الاذهان تقصر عن مقدار ما يحتاج اليه في ذلك من علم الهندسة واجتماع الهمة وتوفر العزيمة ومصابرة العمل والتمكن من الالات والتفرغ للاعمال والعلم بمعرفة اعضا الحيوان وخاصة الانسان ومقاديرها ونسب بعضها من بعض

بعض وكيفية تركيبها ونصباتها ومقادير وضع
بعضها من بعض فان النصف الاسفل من
الانسان اعظم من النصف الاعلي منه اعني
التنور بمقدار معلوم بخلاف ساير الحيوان
والانسان المعتدل طوله ثمانية اشبار بشبر
نفسه وطول يده الي طي مرفقه شبران
بشبره وعضده شبر وربع وهكذا جميع عظامه
الصغار والكبار والقصب والسناسن والسلاميات
حافظة للنظام في مقاديرها ونسب بعضها الي
بعض وكذلك ساير الاعضا الباطنة والظاهرة
كانخفاض اليافوخ عن ذروة الراس ونتوة عما
دونها وامتداد الجبهة والجبينين وتطامن
الصدغين ونتوء عظمي الوجنتين وسهولة
الخدين وانخراط الانف ولين المارن وانفراج
المنخرين وامتداد الوترة ودقة الشفتين
واستدارة الحنك وانخراط الفكين وغير ذلك
مما تضيق عنه العبارة وانما يدرك بالمشاهدة

CAP. IV.

وبالتشريح والتامل وقد ذكر ارسطوطاليس
فصلا في المقالة الحادية عشرة من كتاب
الحيوان له يدل علي ان القوم كان لهم
حذاقة واتقان لمعرفة اعضا الحيوان وتناسبها
وان جميع ما ادركوه وان جل فهو حقير
تافه بالقياس الي الامر الحقيقي المطبوع
وانما يستعظم ما عرفه الانسان منه بالقياس
الي ضعف قوته وبالقياس الي باقي نوعه
ممن يعجز عما قدر عليه كما يتعجب من
النملة اذا حملت حبة شعير ولا يتعجب من
الفيل اذا حمل قناطير وهذا نص كلامه
باصلاحي قال من العجب ان نستحب علم
احكام التصاوير وعمل الاصنام وافراغها ونتبين
حكمته ولا نستحب معرفة الاشيا المقومة
بالطبيعة ولا سيما اذا قوينا علي معرفة عللها
ولذلك لا ينبغي لنا ان نكره النظر في
طباع الحيوان الحقير الذي ليس بكريم
ولا

LIB. I.

ولا يشغل ذلك علينا كما يشغل علي الصبيان ففي جميع الاشيا الطباعية شي عجيب ولذلك ينبغي لنا ان نطلب معرفة طباع كل واحد من الحيوان ونعلم ان في جميعه شيا طباعيا كريما لانه لم يطبع شي منها علي وجه الباطل ولا كما جا واتفق ولا بالنحت بل كل ما يكون من قبل الطباع فانما يكون لشي اعني لحال التمام ولذلك صار له مكان ومرتبة وفضيلة صالحة فتبارك الله احسن الخالقين

واما باطن الحيوان وتجويفاته وما فيها من العجايب التي يشتمل علي وصفها كتب التشريح لجالينوس وغيره وكتاب منافع الاعضا له فان ايسر اليسير منه يبهت دونه المصور حسيرا ولا يجد له علي ذلك ظهيرا ويعلم مصداق قوله تعالي وخلق الانسان ضعيفا

CAP. IV.

واقول ان التعجب من الامور الصناعية
يضاهي التعجب من الامور الطباعية لان
الامور الصناعية هي بوجه ما طباعية وذلك
انها حادثة عن قوي طباعية وكما ان
المهندس اذا حرك ثقلا عظيما استحق ان
يتعجب منه فكذلك اذا صنع صورة من خشب
مثلا تحرك تلك الصورة ثقلا ما كان ذلك
المهندس احري ان يتعجب منه والله خلقكم
وما تعملون فتبارك من ملكوته سار في
عالمي الغيب والشهادة وفي انفسكم افلا
تبصرون ونور جلاله ساطع فلا ينهنهه حجاب
يعلم خاينة الاعين وما تخفي الصدور ومن
اشباح الموجودات بقدرته قايمة وبارادته متحركة
وساكنة وبنفاذ امره فيها فرحة وباقترابها من
حضرة قدسه مبتهجة ولتكثرها تشهد بوحدانية
وبتغيرها تنفر بصمدينه وان من شي
الا يسبح بحمده

ولنرجع

Lin. I. ولنرجع الي حديثنا الاول فنقول هذه
الاصنام مع كثرتها قد تركتها الايام الا الاقل
جذاذا وغادرتها ارماما ولقد شاهدت كبيرا منها
وقد نحت من ضلعته رحا قطرها ذراعان ولم
يظهر في صورة كبير تشويه ولا تغير بين
ورايت صنما وبين رجليه صنم متصل به صغير
كانه مولود بالقياس اليه وهو مع ذلك
كاعظم رجل يكون وعليه من الملاحة والجمال
ما يشوق الناظر اليه ولا يمل من ملاحظته

واتخاذ الاصنام قد كان في ذلك
الزمان شايعا في الارض عاما في الامم ولهذا
قال تعالي في حق ابرهيم عليه السلم ان
ابرهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يكن
من المشركين اي كان وحده في زمنه
موحدا فهو امة بنفسه لاعتزاله اياهم وانفراده
براي يخالف اراهم

ولما راي بنو اسراييل تعظيم القبط هذه
الاصنام وتبجيلهم اياها وعكوفهم عليها والفوا
ذلك

CAP. IV.

زلك وانسوا بـه لطول مغامهم بينهم ثم راوا
قوما من اهل الشام عاكفين علي اصنام لهم
قالوا يا موسي اجعل لنا الاها كما لهم الهة
قال انكم قوم تجهلون ولما كان النصاري
معظمهم وجمهورهم اقباط وصابية نزعوا الي الاصل
ومالوا الي سنة ابايهم القديمة في اتخاز
التصاوير في بيعهم وهياكل عبادتهم وبالغوا
في زلك وتغننوا فيه وربما تراموا في الجهالة
والنوك حتي يصوروا الههم والمليكة حوله بزعمهم
وجميع زلك لبقايا فيهم من سنن اوايلهم وان
كان الاوايل يكبرون الاله ان يدخل تحت
ادراك عقلي وحسي فضلا عن تصوير وانما
سهل علي النصاري زلك وجراهم عليه
اعتقادهم الالهية لبشر وقد حققنا القول في
زلك في مقالاتنا عليهم

وما زالت الملوك تراعي بقا هذه الاثار
وتمنع من العيث فيها والعبث بها وان كانوا
اعدا لاربابها وكانوا يفعلون زلك لمصالح

منها

LIB. I.

منها لتبقي تاريخا يتنبه بها علي الاحقاب ومنها
انها تكون شاهدة للكتب المنزلة فان القران
العظيم ذكرها وذكر اهلها ففي رويتها خبر
الخبر وتصديق الاثر ومنها انها مذكرة بالمصير
ومنبهة علي المال ومنها انها تدل علي شي
من احوال من سلف وسيرتهم وتوفر علومهم
وصفا فكرهم وغير ذلك وهذا كله مما
تشتاق النفس الي معرفته وتوثر الاطلاع
عليه واما في زمننا هذا فترك الناس
سدي وسرحوا هملا وفوضت اليهم شوونهم
فتحركوا بحسب اهوايهم وجروا نحو ظنونهم
واطماعهم وعمل كل امري منهم علي شاكلته
وبموجب سجيته وبحسب ما تسول له نفسه
ويدعوا اليه هواه فلما راوا اثارا هايلة
راعهم منظرها وظنوا ظن السوء بمخبرها
وكان جل انصراف ظنونهم الي معشوقهم واجل
الاشيا في قلوبهم وهو الدينار والدرهم فهم
كما قيل

وكل

وكل شي راه ظنه قدحا
وكل امري ظنه الساقي

فبهم يحسبون كل علم يلوح لهم انه علم علي مطلب وكل شق مفطور في جبل انه يفضي الي كنز وكل صنم عظيم انه حافظ المال تحت قدميه وهو مهلك عليه فصاروا يعملون الحيلة في تخريبه ويبالغون في تهديمه ويفسدون صور الاصنام افساد من يرجوا عندها المال ويخاف منها التلف وينقبون الاحجار نقب من لا يتماري انها صناديق متغلقة علي ذخاير ويسربون في فطور الجبال سروب متلصص قد اتي البيوت من غير ابوابها وانتهز فرصة لم يشعر غيره بها

وهذه الفطور منها ما يدخل حبوا ومنها ما يدخل زحفا ومنها ما يدخل سحبا علي الوجوه ومنها مضايق لا ينسحب فيها الا الضرب الضيبيل واكثر ذلك انها هو فطور طبيعية في الجبال

ومن

Lib. I. ومن كان من هولاء له مال اضاعه في زلك ومن كان فقيرا قصد بعض المياسير وقوي طمعه وقرب امله بايمان يحلفها له وعلوم يزعم انه استاثر بها دونه وعلامات يدعي انه شاهدها حتي يخسر زلك عقله وماله وما اقبح بعد زلك ماله

ومما يقوي اطماعهم ويديم اصرارهم انهم يجدون نواويس تحت الارض فسيحة الارجا محكمة البنا وفيها من موتي القدما الجم الغفير والعدد الكثير قد لفوا باكفان من ثياب القنب لعله يكون علي الميت منها زها الف ذراع وقد كفن كل عضو علي انفراده كاليد والرجل والاصبع في قمط دقاق ثم بعد زلك تلف جثة الميت جملة حتي يرجع كالحمل العظيم ومن كان يتتبع هذه النواويس من الاعراب واهل الريف وغيرهم ياخذ هذه الاكفان فما وجد فيه تماسكا اتخذه ثيابا وباعه للوراقين يعملون منه ورق العطارين

CAP. IV.

العطارين ويوجد بعض موتاهم في تـوابـيت
من خشب الجميز ثخين ويـوجد بعضهم في
نواويــس من حجــارة امــا رخام واما صوان
وبعضهم في ازيــار مملوة عسلا وخبرني الثقة
انهم بينما كانوا يتقفون المطالب عند الاهرام
صادفوا دنا مختوما فـفـضوا فاذا فـيه عسل
فـاكلوا منه فعلق في اصبع احدهـم شعر
فجذبه فظهر لهم صبي صغير متماسك الاعضا
رطب البدن عليه شي من الحلي والجوهر
وهولا الموتي قد يوجد علي جباههم وعيونهم
وانوفهم ورق من الذهب كالقشر وقد يوجد
منه ايضا علي فرج المراة وربما وجد قشر من
الذهب علي جميع الميت كالغشا وربما وجد
عنده شي من الذهب والحلي والجوهر وربما
وجد عنده الالة الـتـي كان يزاول بها في
حياته واخبرني الثـقـة انه وجد عند ميت
منهم الة المزيـن مسنا وموسي وعند اخر الة
الحجام

LIB. I.

الحجام وعند اخر الة الحايك ويظهر من
حالهم انه قد كان من سنتهم ان يدفنوا مع
الرجل التة وماله وسمعت ان طوايف من
الحبشة هذه سنتهم ويتطيرون بمتاع الميت
ان يمسوه او يتصرفوا فيه وكان لنا قريب دخل
الحبشة واكتسب مالا منه مايتا اوقية من
الذهب وانه لما مات اكرهوا رجلا مصريا كان
معه علي اخذ ماله فاخذه ممتنا عليهم

وقد كان من سنتهم والله اعلم ان يجعل
مع الميت شي من الذهب فخبرني بعض
قضاة بوصير وهي مجاورة مدافنهم انهم نبشوا
ثلثة اقبر فوجدوا علي كل ميت قشرا رقيقا
من الذهب لا يكاد يجتمع وفي فيه سبيكة
من الذهب فجمع السبايك الثلثة فكان وزنها
تسعة مثاقيل والحكايات في ذلك اوسع
من ان يحصرها هذا الكتاب

واما ما يوجد في اجوافهم وادمغتهم من
الشي الذي يسمونه موميا فكثير جدا يجلبه
اهل

CAP. IV. اهل الريف الي المدينة ويباع بالشي النزر
ولقد اشتريت ثلثة اروس مملوة منه بنصف
درهم مصري واراني بايعه جوالقا مملوا من
ذلك وكان فيه الصدر والبطن وحشوه من
هذا المومیا ورايته قد داخل العظام وتشربته
وسري فيها حتي صارت كانها جزء منه ورايت
ايضا علي قحف الراس اثر ثوب الكفن واثر
النساجة قد انتقش فيه كما يرتسم علي
الشمع اذا ختمت به علي ثوب

وهذا المومیا هو اسود كالقفر ورايته
اذا اشتد عليه حر الصيف يجري ويلصق بما
يدنوا منه واذا طرح علي الجمر غلي ودخن
وشممت منه رايحة القفر او الزفت والغالب
انه زفت ومر واما المومیا بالحقيقي فشي
ينحدر من رووس الجبال مع المياه ثم يجمد
كالقار ويفوح منه رايحة زفت مخلوط بقفر
وقال جالينوس المومیا يخرج من العيون كالقار
والنفط وقال غيره هو صنف من القار ويسمي
حيضي

حيض الجبال وهذا الذي يوجد في تجاويف الموتي بمصر لا يبعد عن طباع المومیا وان يستعمل بدله اذا تعذر

ومن اعجب ما يوجد في مدافنهم اصناف الحيوان من الطير والوحش والحشرات وقد كفن الواحد منها في كذا كذا ثوبا وهو محتاط عليه محتفظ به وخبرني الثقة انهم وجدوا بيتا تحت الارض محكما ففتحوه فوجدوا فيه لفايف ثياب القنب وقد تمعطت فازالوها مع كثرتها فوجدوا تحتها عجلا صحيحا قد احكم تقميطه وحدثني اخر انهم وجدوا صقرا فنشروا عنه من لفايف الثياب حتي عيوا فوجدوه لم تسقط منه ريشة

وحكي لي مثل ذلك عن هر وعن عصفور وعن خنفسا وغير ذلك مما يطول شرحه ويهجن ذكره

وحكي لي ايضا الامير الصادق انه كان يقوص فجا اليه من يبحث عن المطالب

فذكروا

CAP. IV.

فذكروا له انهم انخسفت بهم هوة موهمة ان
فيها دفينا فخرج معهم بجماعة منسلحين
وحفروا فوجدوا زبرا كبيرا موثق الراس بالجص
ففتحوه بعد الجهد فوجدوا فيه كالاصابع
مكفنا بخرق فحلوها فوجدوا تحتها صيرا وهو
سمك صغار وقد صار كالهبا اذا نفخ طار
فنقلوا الزبر الي مدينه قوص بين يدي
الوالي واجتمع عليه نحو ماية رجل فحلوا
الجميع حتي اتوا علي اخره وهو كله صير
مكفن ليس فيه سوي ذلك

ورايت انا بعد ذلك في مدافنهم ببوصير
من العجايب ما لا يفي به هذا الكتاب فمن
ذلك اني وجدت في هذه المدافن مغاير
تحت الارض مبنية باتقان وفيها رمم مكفنة
في كل مغارة عدد لا يحصي ومن المغاير ما هو
مملوء برمم الكلاب ومنها ما هو مملوء برمم البقر
ومنها ما فيه رمم السنانير والجميع مكفن بخرق
القنب ورايت شيا من عظام بني ادم وقد
تهشق

Lib. I. تهشق حتي صار كالليف الابيض لقدمه
ومع زلك فاكثر الرمم التي رايتها صلبة
متماسكة جدا يظهر عليها من الطراة اكثر
من رمم الهالكين سنة سبع وتسعين وخمس
ماية الاتي زكرها اخر كتابنا هذا ولا سيما
ما كان من الرمم القديمة قد انصبغ بالزفت
او القطران فانك تجدها في لون الحديد
وصلابته ووزانته ورايت من جماجم البقر ما شا
الله وكذلك جماجم الغنم وفرقت بين روس
المعز والضان وبين روس البقر الثيران ووجدت
لحم البقر قد التصق بالاكفان حتي صار
قطعة واحدة حمرا تضرب الي السواد ويخرج
العظم من تحتها ابيض يقعا وبعض العظام
احمر وبعضها اسود وكذلك في عظام الادمي
ولا شك ان الاكفان كانت تبل بالصبر
والقطران وتشرب به ثم يكفن بها فلذلك
يصبغ اللحم ويبقيه وما نال منها العظم صبغه
فاحمر واسود ووجدت في عدة مواضع
تلالا

Cap. IV.

تلالا من رمم الكلاب لعله يكون في جملتها
ماية الف راس كلب او يزيد وذلك مما
يثير الباحثون عن المطالب فان جماعة
يجعلون مكاسبهم من هذه القبور واخذ
ما سنح لهم من الخشب والخرق وغيره
واستقريت جميع المواضع الممكنة فلم اجد فيها
راس فرس ولا جمل ولا حمار فبقي ذلك في
نفسي فسالت مشايخ بوصير فبادروا الى اخباري
بانهم قد تقدمت فكرتهم في ذلك واستقراوهم
اياه فلم يجدوه واكثر توابيتهم من خشب
الجميز وفيه القوي الصلب ومنه ما صار في
درجة الرماد وخبرني قضاة بوصير بعجايب
منها انهم وجدوا ناووسا من حجر ففضوه
فالفوا فيه ناووسا ففضوه فوجدوا فيه تابوتا
ففتحوه فوجدوا فيه سحلية وهي سام ابرص
مكفنة محتاطا عليها معتنيا بها ووجدنا عند
بوصير اهراما كثيرة منها هرم قد انهدم وبقي
قلبه فقسناه من مبدا اساسه فوجدناه لا يتقاصر
عن

LIB. I.

عن هرمي الجيزة وجميع ما حكيناه من احوال مدافنهم ببوصير يوجد نحوه وامثاله بعين شمس وبالبرابي وبغيرها

واعلم ان الاهرام لم اجد لها ذكرا في التوراة ولا في غيرها ولا رايت ارسطو ذكرها وانما قال في اثنا قول له في السياسة كما كان من سنة المصريين البنا وللاسكندر اللافروذيسي تاريخ صغير ذكر فيه اليهود والمجوس والصابية وتعرض لشي من اخبار القبط واما جالينوس فرايته ذكر الاهرام في موضع واحد وجعله من هرم الشيخوخة وقال في كتاب شرح الاهوية والبلدان لبقراط فمن اراد ان يتعلم صناعة النجوم فعليه بمصر فان اهلها قد عنوا بذلك عناية تامة هذا معني قوله وقال في كتاب عمل التشريح فمن اراد ان يشاهد كيفية تركيب العظام وهيتها فينبغي له ان يقصد الاسكندرية ويشاهد موتي القدما

CAP. IV.

واعلم ان القبط بمصر نظير النبط بالعراق ومنف نظيرة بابل والروم والاقاصرة بمصر نظير الفرس والاكاسرة بالعراق والاسكندرية نظيرة المداين والفسطاط نظير بغداد والجميع اليوم يعمه الاسلام وتشمله دعوة بني العباس

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الفصل الخامس فيما شوهد بها من غاريب الابنية والسفن

CAP. V.

واما ابنيتهم فغبها هندسة بارعة فترتيب في الغاية حتي انهم قلما يتركون مكانا غفلا خاليا عن مصلحة ودورهم افيح وغالب سكناهم في الاعالي ويجعلون منافذ منازلهم تلقا الشمال والرياح الطيبة وقلما تجد منزلا الا وفيه باذاهنج وباذاهنجاتهم كبار واسعة للريح عليها تسلط ويحكمونها غاية الاحكام حتي انه يغرم علي عمارة الواحد منها مايـة دينار الي خمس ماية وان كانت باذاهنجات المنازل

Lib. I. المنازل الصغار يغرم علي الواحد منها دينار واسواقهم وشوارعهم واسعة وابنيتهم شاهقة ويبنون بالحجر النحيت والطوب الاحمر وهو الاجر وشكل طوبهم علي نصف طوب العراق ويحكمون قنوات المراحيض حتي. انه تخرب الدار والقناة قايمة ويحفرون الكنف الي المعين فيغبر عليها برهة من الدهر طويلة ولا يفتقر الي كسح

واذا ارادوا بنا ربع او دار ملكية او قيسارية استحضر المهندس وفوض اليه العمل فيعمد الي العرصة وهي تل تراب او نحوه فيقسمها في ذهنه ويرتبها بحسب ما يقترح عليه ثم يصمد الي جزء جزء من تلك العرصة فيعمره ويكمله بحيث ينتفع به علي انفراده ويسكن ثم يصمد الي جزء اخر ولا يزال كذلك حتي تكمل الجملة بكمال الاجزاء من غير خلل ولا استدراك

واما المسناة فيسمونها الزربية ولهم في بنايها اتقان حسن وصفته ان يحفر الاساس

حتي تظهر النداوة ونزيز الما فحينيذ يوضع CAP. V.
ملبن من خشب الجميز او نحوه علي تلك
الارض الندية بعد ما تمهد ويكون عرضه نحو
ثلثي ذراع وقطر حلقته نحو ذراعين مثل الذي
يجعل في تعر الابار ثم يبني عليه بالطوب
والجير نحو قامتين فيصير بمنزلة التنور فياتي
الغواصون وينزلون هذه البير ويحفرونها وكلها
نبع الما نزحوه مع الطين والرمل ويحفرون
ايضا تحت ذلك الملبن فكلما تخلخل ما تحته
وثقل بما عليه من البنا نزل وكلما نزل
غاصوا عليه وحفروا تحته والبنا في اثنا ذلك
يبني عليه ويرفعه ولا يزال البنا يرفع والغواص
تحته يحفر وهو بثقله يغوص حتي يستقر
علي ارض جلدة ويصل الي الحد الذي
يعرفونه فحينيذ ينتقلون الي عمل اخر مثله
علي سمته وعلي بعد اربع اذرع منه او نحوها
ولا يزالون يفعلون ذلك في جميع طول
الاساس المفروض ثم يبنون الاساس كالعادة
بعد

LIB. I. بعد ردم هذه الابار فترجع اوتادا راسية للبنا وعهدا تدعمه وتوثقه

واما حماماتهم فلم اشاهد في البلاد اتقن منها وضعا ولا اتم حكمة ولا احسن منظرا ومخبرا اما اولا فان احواضها يسع الواحد منها ما بين زاويتين الي اربع زوايا واكثر من ذلك تصب فيه ميزابان ثجاجان حار وبارد وقبل ذلك تصبان في حوض صغير جدا مرتفع فاذا اختلطا فيه جري منه الي الحوض الكبير وهذا الحوض نحو ربعه فوق الارض وسايره في عمقها ينزل اليه المستحم فيستنقع فيه وداخل الحمام مقاصير بابواب وفي المسلخ ايضا مقاصير لارباب التخصص حتي لا يختلطوا بالعوام ولا يظهروا علي عوراتهم وهذا المسلخ بمقاصيره حسن القسمة مليح البنية وفي وسطه بركة مرخمة وعليها اعمدة وقبة وجميع ذلك مزوق السقوف مقوف الجدران مبيضها مرخم الارض باصناف الرخام مجزع باختلاف الوانه

Cap. V.

الوانه وترخيم الداخل يكون ابدا احسن من ترخيم الخارج وهو مع زلك كثير الضيا مرتفع الازاج جاماته مختلفة الالـوان صافية الاصباغ بحيث ازا دخله الانسان لم يوثر الخروج منه لانه ازا بالغ بعض الـروسا ان يتخـذ دارا لجلوسه وتناهي في زلك لم تكن احسن منه

وفي موقده حكمة عجيبة وزلك ان يتخذ بـيت النار وعليه قبة مفـتوحة بحيث يصل اليها لسان النار ويصف علي افاربـزها اربع قدور رصاص كقدور الهراس لكنها اكبر منها وتتصل هذة القدور قرب اعاليها بمجار من انابـيب فدخل الما من مجري البـير الي فسـقـيـة عظيمة ثم منها الي القدر الاولي فيكون فيها باردا علي حاله ثم يجري منها الـي الـثـانـيـة فيسخن قـليلا ثم الي الثـالـثـة فيسخن اكبر من زلك ثم الي الرابعة فيتناهي حره ثم يخرج من الرابعة الي مجاري الحمام فلا يزال الما جاريا وحارا بايسر كلفة

LIB. I.

كلفة واهون سعي واقصر زمان وهذا العمل حاكوا به فعل الطبيعة في بطون الحيوان وطبخها الغذا فان الغذا يتنقل في الامعا والات الغذا التي هي لكل حيوان وكلها صار الغذا الي مصير حصل له صنف من الهضم ومقدار من النضج حتي يصل الي المعا الاخير وقد تناهي

واعلم ان هذه القدور كل حين تحتاج الي تجديد لان النار تنتقصها فتوجد القدر الاولي التي هي وعا البارد قد نقصت اكثر من نقصان القدر التي هي وعا الحار بمقدار بين ولذلك علة طبيعية ليس هذا موضعها

ويفرشون ارض الاتون التي هي مقر النار بنحو خمسين اردبا ملحا وهكذا يفعلون بارض الافران لان الملح من طبعه حفظ الحرارة

واما سفنهم فكثيرة الاصناف واشكال واغرب ما رايت فيها مركب يسمونه العشيري شكله شكل

CAP. V.

شكل شبارة دخلة الا انه اوسع منها بكثير
واطول واحسن هنداما وشكلا قد سطح بالواح
خشب ثخينة محكمة واخرج منها افاريز
كالرواشن نحو ذراعين وبني فوق هذا السطح
بيت من خشب وعقد عليه قبة وفتح له
طاقات ورواوزن بابواب الي البحر من ساير
جهاتها ثم تعمل في هذا البيت خزانة مفردة
ومرحاض ثم يزوق باصناف الاصباغ ويذهب
ويدهن باحسن دهان وهذا يتخذ للملوك
والروسا بحيث يكون الرييس جالسا في
وسادته وخواصه حوله والغلمان والمماليك قيام
بالمناطق والسيوف علي تلك الرواشن واطعمتهم
وحوايجهم في تعر المركب والملاحون تحت
السطح ايضا وفي باقي المركب يقذفون به لا
يعلمون شيا من احوال الركاب ولا الركاب
يشتغل خواطرهم بهم بل كل فريق بمعزل عن
الاخر ومشغول بما هو بصدده واذا اراد الرييس
الاختلا

LIB. I. الاختلا بنفسه عن اصحابه دخل المخدع واذا اراد قضا حاجته دخل المرحاض

والملاحون بمصر يتقذفون الي ورايهم فهم في تقذفهم يشبهون الحبالين في مشيهم القهقري ويشبهون في تحريكهم السفن من يجذب ثقلا بين يديه ويمشي به الي خلفه واما ملاحوا العراق فهم بمنزلة من يدفع الثقل نحو امامه ويدسر به فسفنهم تتوجه حيث الملاح متجه واما سفن مصر فهي تتحرك الي ضد الجهة التي اليها الملاح متوجه واما اي الحالتين اسهل والبرهان عليها فموضعه العلم الطبيعي وعلم تحريك الاثقال

 الفصل

الفصل السادس في غرايب اطعمتها

CAP. VI.

فمن زلك النيدة وهي بمنزلة الخبيص حمرا الي السواد وهي حلوة لا في الغاية وتتخذ من القمح بان ينبت ثم يطبخ حتي يخرج نشاه وقوته في الما ثم يصفي ويطبخ زلك الما حتي يغلظ ثم يذر عليه الدقيق وينعقد ويرفع فيباع بسعر الخبز وهذه تسمي نيدة البوش وقد يطبخ زلك الما وحده حتي ينعقد من غير دقيق وتسمي النيدة المعقودة وهي اغلي من الاولي واعلي

ويختصون ايضا باستخراج دهن بزر الفجل والسلجم والخس ويستصبحون به ويعملون منه الصابون وصابونهم رطب احمر واصفر واخضر وبه شبهت الصابونية واليه نسبت

واما

واما اطبختهم فالحوامض منها والسوازج
هي المعهودة او قريبة من المعهودة واما المحلاة
فغريبة وزلك انهم يتخذون الدجاج باصناف
من الحلويات وسبيل زلك ان تسلق الدجاج
ثم ترمي في الجلاب ويلقي عليه بندق
مدقوق او فستق اوخشخاش او بزر رجلة او
ورد ويطبخ حتي ينعقد ثم يتبل ويرفع وتسمي
هذه الاطبخة بالفستقية والبندقية
والخشخاشية والوردية وست النوبة للتي
تعقد ببزر الرجلة لسوادها ويتفننون في
زلك تفننا يحتاج الي شرح اكثر من هذا

واما الحلويات المتخذة من السكر فاصناف
كثيرة يودي استقصاوها الي الخروج عن
الغرض ويحوج الي وضع كتاب مفرد وقد
يتخذ منها ما يصلح لمداواة الامراض ولارباب
الحمية من المرضي والناقهين اذا تاقت
انفسهم الي الحلوي فمن زلك خبيص

CAP. VI.

اليقطبين وخبيص الجزر والوردية المتخذة بالورد
والزنجبيلية المتخذة بالزنجبيل وكاقراص العود
واقراص الليمون والاقراص المسكة وغير ذلك
وكثيرا ما يستعملون الفستق في اطبختهم
وحلوايهم عوض اللوز وهو مما يفتح سدد
الكبد ويتخذون منه هريسة تسمي هريسة
الفستق وهي لذيذة جدا مسمنة وموادها
لحم دجاج مسلوق منسر جزء وجلاب جزان
ومثل ثمن الجميع او تسعه فستق مقشور
مهروس وكيفية عمله ان يمسح اللحم المنسر
بالشيرج ويجعل في الدست بحيث يشم
النار ويسكب عليه الجلاب ويضرب حتي
ينعقد ثم يلقي عليه الفستق ويضرب حتي
يختلط ثم يرفع

ومن غريب ما يتخذونه رغيف الصينية
وصفته ان يوخذ من الدقيق الحواري ثلثون
رطلا بالبغدادي ويعجن مع خمسة ارطال
ونصف شيرجا عجين خبز الخشكنان ثم
يقسم

LIB. I.

يقسم بقسمين ويبسط احدهما رغيفا في
صينية نحاس قد اتخذت لذلك سعة قطرها
نحو اربعة اشبار ولها عري وثيقة ثم يعبا علي
رغيف ثلثة اخرفة مشوية محشوة الاجواف
بلحم مدقوق مقلوا بالشيرج والفستق المهروس
والافاويه العطرة الحارة كالفلفل والزنجبيل
والقرفة والمصطكي والكزبرة والكمون والهال
والجوزة ونحو ذلك ويرش عليه ما ورد قد
ديف فيه مسك ثم يجعل علي الخرفان
وبين خلالها عشرون دجاجة وعشرون فروجا
وخمسون فرخا بعضه مشوي محشو بالبيض
وبعضه محشو باللحم وبعضه مطجن بما الحصرم
او بما الليمون او بنحو ذلك ثم يشور
بالسنبوسك والقماقم المحشوة باللحم بعضها
وبالسكر والحلوي بعضها وان شيت ان تزيده
خروفا اخر تتخذه شرائح فلا باس وكذا جبنا
مقلو فاذا نضد ذلك وصار كالقبة نضح عليه
ما ورد قد ديف فيه مسك وعود ثم غطي
بالقسم

CAP. VI. بالقسم الثاني من العجين يعد ان يمد رغيفا
ويلحم يين الرغيفين كما يلحم الخشكنان
بحيث لا يخرج منه نفس اصلا ثم يقرب الي
راس التنور حتي يتماسك عجينه ويبتدي
في النضج فحينيذ ترسل الصينية في التنور
بعراها رويدا رويدا ويصبر عليه ريثما ينضج
الخبز ويتورد ويحمر ثم يخرج ويمسح باسفنجة
فيرش عليه ما ورد ومسك ويرفع للاكل
وهذا الصنيع يصلح ان يجهل مع الملوك
وارباب الترف الي متصيداتهم النايية
ومتنزهاتهم النازحة فانه وحده جملة فيها تفصيل
سهل المحمل عسر التشعث جميل المنظر
مشكور المخبر يحفظ الحرارة مدة طويلة

واما عوامهم فقلما يعرفون شيا من زلك
واكثر اغذيتهم الصير والصحناة والدلينس
والخبز والنيدة ونحو زلك وشرابهم المزر وهو
نبيذ يتخذ من القمح ومنهم اصناف ياكلون
الفار المتولد في الصحاري والغيطان عند
انحطاط

LIB. I.

انحطاط النيل ويسمونه سماني الغيط وبالصعيد
قوم ياكلون الثعابين والميتات من الحمير
والدواب باسافل الارض قد يتخذ نبيذ من
البطيخ الاخضر وبدمياط يكثر اكل السمك
ويطبخ بكل ما يطبخ به اللحم من الرز
والسماك والمدققات وغير ذلك

اخر المقالة الاولي والحمد لله رب
العالمين وصلي الله علي سيد المرسلين

المقالة الثانية وهي ثلثة فصول

الفصل الاول في النيل وكيفية زياداته واعطا علل زلك وقوانينه

Lib. II. اعلم ان نيل مصر يمد وقت نضوب مياه الارض وزلك في شمس السرطان والاسد والسنبلة فيعلو علي الارض ويقيم اياما فاذا نزل عنها حرثت وزرعت ثم يكثر الندا في الليل جدا وبه يتغذي الزرع الي ان يستحصد ونهاية ما تدعوا اليه الحاجة من الزيادة ثماني عشرة ذراعا فان زاد علي زلك فانه يروي امكنة مستعلية وكانه نافلة علي جهة التبرع ونهاية ما يزيد علي جهة الندرة

Cap. I.

اصابع من عشرين ذراعا وعند ذلك تستبحر
امكنة يدوم مكث الما عليها فتفوت زراعتها
ويبور من البلاد ما عادته ان يزرع نحو ما
روي ما عادته ان يشرق ولنسم الثمانية
عشرة نهاية الضروري ولنسم العشرين نهاية
الافراط وكل نهاية بين هاتين فلها ابتدا
يقابلها فابتدي الضروري ست عشرة ذراعا
ويسمي ما السلطان اذ عنده يستحق الخراج
ويروي به نحو نصف البلاد ويغل من القوت
بمقدار ما يمان اهل البلاد سنتهم جمعا مع
توسع ويروي ساير البلاد المعتادة بالري بما زاد
علي ست عشرة ذراعا الي ثماني عشرة وهذا
يغل مقدار ما يمير اهل البلاد سنتين فصاعدا
واما ما نقص عن ست عشرة ذراعا فيروي به ما
هو دون الكفاية ولا تحصل منه ميرة سنتهم
ويكون تعذر القوت بمقدار نقصانه عن ست
عشرة ذراعا وحينيذ يقال ان البلاد قد شرقت
واشتقاقها من قولهم شرقت الشمس اذا طلعت
وظهرت

LIB. II.

وظهرت وشرقت اللحم اذا شررته ليجف ومنه
قيل ايام التشريق لان لحوم الاضاحي تشرق
فيها اي تبسط ومنه ايضا قولهم شرق بالما
وبالشراب لان الما عند الاغتصاص وانسداد
الحلق يظهر ويبرز ولا يلج ولما كانت الارض
في السنة التي لا يوفي نيلها بارزة لا يسترها
الما ولا يخفيها الغمر قيل شرقت ولم تتغط ولم
ينلها النيل ويجوز ان يكون التشريق من قولهم
ريح شرقية لان الريح الشرقية والقبلية وهي
الجنوب هما عندهم دليل نقص الما وسببه
والغربية والبحرية وهي الشمال هما عندهم
دليل الزيادة وسببها فيكون معني قولهم شرقت
البلاد اي كثر هبوب الرياح الشرقية حتي
نسفت الما واظهرت الارض ثم سميت الارض
شرقية باسم الريح وجمعت علي شراقي مثل
كرسي وكراسي وبختي وبخاتي

واما النيل فهو فعل من نال ينال
نيلا او من نال ينول نولا يقال

نولته

CAP. I.

نولته تنويلا ونلته نولا اذا اعطيته والنيل اسم
ما ينال مثل الرعي للمصدر والرعي لما يرعي
وليس هذا من غرضنا ولكنه امر عن فقلنا فيه

فمتي نقص عن الست عشرة ذراعا فهو
ابتدا التفريط المقابل للافراط وكنا قد سقنا
في الكتاب الكبير سني الافراط والتفريط مذ
الهجرة الي سنتنا هذه واما هنا فانها نقتص
ما شاهدنا علي ما شرطنا

واتفق ان زيادة النيل بلغت في سنة
ست وتسعين وخمس ماية اثنتي عشرة ذراعا
واحدي وعشرين اصبعا وهذا المقدار نادر جدا
فانه لم يبلغنا مذ الهجرة الي الان ان النيل
وقف علي هذا الحد قط الا في سنة ست
وخمسين وثلثماية فانه وقف علي دون هذا
المقدار باربع اصابع واما وقوفه علي ثلث
عشرة ذراعا واصابع فانه وقع نحو ست مرات
في هذه المدة الطويلة واما اربع عشرة ذراعا
واصابع فانه وقع نحو عشرين مرة واما خمس
عشرة

LIB. II.

عشرة ذراعا فاكثر من ذلك كثيرا ونحن
نسوق احوال زيادته في هذه السنة اعني
سنة ست وتسعين وخمس ماية ثم نتبع ذلك
بما حصل عندنا من علل ذلك وقوانينه
فنقول ان العادة جارية ان يبتدي الزيادة
من ابيب وتعظم في مسري وتتناهي في توت
او بابة ثم ينحط فدخل ابيب في هذه السنة
وابتدا النيل يتحرك بالزيادة وكان قبل ذلك
بنحو شهرين قد بدت في مايه خضرة سلقية
ثم كثرت وظهرت في رايحته دفرة كريهة
وعفونة طحلبية كانه عصارة السلق اذا بقي
اياما حتي يعفن وجعلت منه في وعا ضيق
الراس فعلاه سحابة خضرا فرفعتها برفق
وتركتها تجف واذا بها طحلب لا شك فيه
ويبقي الما بعد رفع هذه السحابة عنه صافيا
لا خضرة فيه الا ان طعمه وريحه باقيان وتجد
فيه ايضا اجساما صغارا نباتية مبثوثة كالهباء
لا ترسب وصار ارباب الحمية يتجنبون شربه وانما
يشربون

CAP. I.

يشربون ما الابار واغليته بالنار ظنا مني انه
يصلح بذلك كما وصي الاطبا ان يفعل
بالمياه المتغيرة فزال طعمه وريحه كراهة وسهكا
فوجدت علة ذلك ان الاجزا النباتية التي
هي مبثوثة فيه يلطف الطبخ جوهرها فيختلط
بالما اختلاطا اشد من الاول فيظهر التغير
في ريحه وطعمه اكثر ويصير ذلك بمنزلة الما
اذا طبخ فيه سلق او فجل او نحوه فان النار
تمزج بين الما ولطيف النبات واما الما الذي
يصلح بالطبخ واياه قصد الاطبا فهو الذي
تغيره بمخالطة اجزا ارضية فانها تنفصل عنه
بالطبخ لان الما حينيذ يلطف فترسب فيه

ثم انه دامت خضرته اياما من رجب وشعبان
ورمضان واضمحلت في شوال وكان يصحب
الخضرة دود وحيوانات اجمية وهذا التغير في
الما يكون بالصعيد اكثر لانه اقرب الي
المبدا والمعدن وانتهت زيادته في الحادي
عشر

Lib. II.

عشر من توت الي اثنتي عشرة ذراعا واحدي وعشرين اصبعا ثم انحط

وورد في شوال رسول ملك الحبشة ومعه كتاب يتضمن موت مطرانهم ويلتمس عوضه وذكر فيه ان مطرهم في هذه السنة ضعيف وان النيل قليل المد لذلك

وكنا اقتصصنا في ذلك الكتاب حال النيل في هذه السنة وفي السنين الخوالي رجا ان نعثر علي نسب بينها واعراض لها نقف منها نسب بينها واعراض لها نقف منها علي المتجددات من احوال النيل في سني الزيادة وسني النقصان فيمكننا تقدمة المعرفة واخذ الاهبة والانذار بالحوادث المتوقعة فان اقباط الصعيد يزعمون انهم يتكهنون علي مقدار الزيادة في السنة من طين معلوم الوزن ينجونه في الليلة معروفة ويزنونه غدوة فيجدونه قد زاد فيحكمون من مقدار زيادته علي

CAP. I.

علي مقدار زيادة النيل وقوم يتكهنون من حمل النخل وقوم من تعسيل النحل

فرايت الغالب من حال القاع انه اذا كان اقل من المعتاد ان الزيادة في تلك السنة تكون اقل من المعتاد هذا حكمه الاكثري فان اتت الخضرة في اول زيادته وقبيلها قوي الظن بضعف جريته فان طالت ايام الخضرة وضعف مقدار الزيادة قوي الظن جدا بقلته فان دامت الخضرة في ابيب فاذن بقلة المد

وعلل هذا ظاهرة اما كون قلة القاع دليلا علي قلة الزيادة فلان المطر الذي هو علة الزيادة ينبغي ان يكون فيه من الكثرة ما يرد القاع الي الحالة المعتادة ثم يزيد عليها الزيادة المعتادة وهذه كثرة لا تفي بها امطار كل سنة ولا توجد كل وقت مثاله ان القاع اذا كان ذراعا مثلا فينبغي ان تكون الزيادة خمس عشرة ذراعا حتي يبلغ ما السلطان

فان

LIB. II.

فان كان القاع ست اذرع احتاج من الزيادة الي عشر اذرع ويكون هذا ايسر من الاول

وايضا فان جرية النيل الاصلية مادتها عيون واما زيادته فمادتها امطار ونقصان العيون دليل علي احتراق السنة ويبس الهوا وقلة البخار فيقل المطر لذلك

وايضا فان المد الزايد علي القاع اكثره في الغالب ثلث عشرة زراعا فاذا كان القاع زراعا او زراعين ثم زاد عليه اكثر المد وهو ثلث عشرة زراعا لم يلحق ما السلطان

واما كون الخضرة دليلا علي قلة الزيادة فلان النيل الماضي يغادر نقايع وغدرانا بعضها ينضب وبعضها يطحلب ويعطن وياسن فاذا مرت بها امطار ضعيفة اختلطت بها وصبتها الي النيل ولم يكن فيها من الكثرة ما يغلب علي النقايع فيصلحها بل النقايع تغلب علي الامطار المتصلة بها فتحيلها الي الفساد وينحط

منها

Cap. I.

منها مقدار بعد مقدار ويتواصل الينا وكلها
كانت الامطار اضعف واقل كانت ايام جرية
الخضرة اطول فاذا كانت امطار قوية غسلت
تلك المستنقعات وغلبت عليها وحدرتها بسرعة
مغمورة بطين تجرفه بقوتها فيخفي منظرها
وينعفي اثرها .

وايضا فان الانهار الخارجة من جبل
القمر يجتمع باخرة الي بركة عظيمة ذات
مساحة فسيحة ومن هذه البركة يخرج هذا
النيل ولا شك ان هذه البركة ماوها دايم
فيطحلب ولا سيما شطوطها وضحاضحها فاذا
وقع الوسمي وجري اليها سيوله اثارت ما في
قعرها وحركت ما كان ساكنا فيها وانكسح
ايضا ما في الشطوط الي الاوساط وانسحب الي ١
الجرية فاستصحبته

واما كون الخضرة في ابيب دليل علي
النقصان فلان ابيب مظنة الزيادة وغلبة الما
علي

LIB. II. علي هذه الاوشاب فاذا بغي علي خضرته ابان زيادته اذن بقلته

وهذه الاجزا النباتية التي تصحب الما انما هي حطام النبات المتكون في الما وحوله كالبردي والديس والسهار والطحلب وغير ذلك فتتعفن فيه وتتصغر اجزاوها وتنبعث معه

ومما يوجب انبعاثها ايضا نقصان الما من تلك البركة فان ماها اذا قل اتصلت الجرية بقعرها فانسحب كدرها وراسبها واذا كانت غمرا كانت الجرية من اعلاها وصفوها فاعرف ذلك ولهذا لا تاتي هذه الخضرة الا في السنة التي يحترق فيها النيل وكلما كان احتراقه اشد كان ظهور الخضرة اكثر وفي السنة التي يكون نيلها غمرا لا يحترق لا تري الخضرة لان كثرته لكثرة مبدئه وارتفاع جريته عن مقر كدورته

CAP. I.

فازا اجتمعت هذه الدلايل كلها او جلها في سنة فظن ظنا قويا بان الزيادة قليلة فيها فهذه فايدة هذا الاقتصاص وفيه فوايد اخر منها ان من ياتي بعد ازا اضافه الي ما يشاهده يوشك ان يعثر منه علي مناسبة او دلالة اخري علي مقدار الزيادة والنقصان في كل سنة

ومنها ان اصحاب الاحكام النجومية ازا تاملوا المدد التي بين النقصانات والزيادات واعتبروا احوال الكواكب والاقترانات فيها وطوالع مصر وبلاد السودان وارباب الولايات فيها من الكواكب ومزجوا زلك امكن ان تقوم لهم مما يتكرر صورة تجريبية في مقدار الزيادة والنقصان فاني الي الان لم ار لمنجمي مصر بذلك عناية ولم اجد عندهم ما تسكن اليه النفس سوي كرو لا ينبني علي اصل فانه بهذا الطريق يستخرج معظم احكام النجوم وزلك انهم شاهدوا

شاهدوا حوادث ارضية تقترن بنصبات فلكية وحركات علوية ورصدوا ذلك فالفوه يتكرر فنسبوا تلك الحوادث الي تلك الهيات والنصبات فصاروا متي عثروا في تسييرهم لحركات الاشخاص العلوية علي مثل تلك النصبة والهية حكموا بوقوع مثل تلك الحادثة

ويروي عن اهل التجربة من قدما الاقباط انه اذا كان الما في اثني عشر يوما من مسري اثنتي عشرة اصبعا من اثنتي عشرة ذراعا فهي سنة ماء والا فالماء ناقص .

ورايت بعض من شرح الثمرة لبطلميوس ذكر في تفسير الكلمة الاخيرة التي يقول في اولها النيازك تدل علي جفاف الابخرة فاذا كان في جهة واحدة دلت علي رياح تعرض في تلك الجهة واذا كانت شايعة في الجهات كلها دلت علي نقصان المياه واضطراب الهوا وعلي جيوش تختلف فقال هذا المفسر

اني

CAP. I. اني لاذكر في سنـة تسعين ومايتين ان الشهب بمصر انتثرت وعمت الجو باسره فارتاع الناس لها لم تزل تكثر فلم يمض لذلك جزء من السنة يسير حتي ظمي‌ء الناس وبلغ نيل مصر ثلث عشرة ذراعا واضطرب الناس اضطرابا زالت به دولة الطولوني من مصر وانتثرت في سنة ثلثماية من ساير جهات الجو فنقص النيل ايضا ووقعت هزجات واضطراب في المملكة وهذه لعمري دلايل قوية ولكنها عامة لجميع الاقاليم وليست خاصة بمصر فقط

علي انه ايضا قد وقع هذا الحادث بعينه في سنتنا هذه من تناثر الكواكب في اولها ونشيش الما في اخرها وتغير ملك مصر فيها بعمه الملك العادل بعد حرب كانت بينهما

الفصل

الفصل الثاني في حوادث

سنة سبع وتسعين وخمس مائة

LIB. II.

ودخلت سنة سبع مغترسة اسباب الحيوة وقد بيس الناس من زيادة النيل وارتفعت الاسعار واقحطت البلاد واشعر اهلها البلا وهرجوا من خوف الجوع وانضوي اهل السواد والريف الي امهات البلاد وانجلي كثير منهم الي الشام والمغرب والحجاز واليمن وتفرقوا في البلاد ايادي سبا ومزقوا كل ممزق ودخل الي القاهرة ومصر منهم خلق عظيم واشتد بهم الجوع ووقع فيهم الموت وعند نزول الشمس الحمل وبيء الهواء ووقع المرض والموتان واشتد بالفقرا الجوع حتي اكلوا الميتات والجيف والكلاب والبعر والارواث

CAP. II.

والاروات ثم تعدوا ذلك الي ان اكلوا صغار بني ادم فكثيرا ما يعثر عليهم ومعهم صغار مشويون او مطبوخون فيامر صاحب الشرطة باحراق الفاعل لذلك والاكل ورايت صغيرا مشويا في قفة وقد احضر الي دار الوالي ومعه رجل وامراة زعم الناس انهم ابواه فامر باحراقهما ووجد في رمضان بمصر رجل وقد جردت عظامه عن اللحم فاكل وبقي قفصا كما تفعل الطباخون بالغنم ومثل هذا اعوز جالينوس مشاهدته ولذلك تطلبه بكل حيلة وكذلك كل من اثر الاطلاع علي علم التشريح

وحين ما نشم الفقرا في اكل بني ادم كان الناس يتناقلون اخبارهم ويفيضون في ذلك استفظاعا لامره وتعجبا من ندوره ثم اشتد ترمهم اليه وضراوتهم عليه بحيث اتخذوه معيشة ومطيبة ومدخرا وتفننوا فيه وفشا عنهم

ووجد

LIB. II. ووجد بكل مكان من ديار مصر فسقط حينيذ التعجب والاستبشاع واستهجن الكلام فيه والسماع له ولقد رايت امراة مشجّجة يسحبها الرعاع في السوق وقد ظفر معها بصغير مشوي تاكل منه واهل السوق ذاهلون عنها ومقبلون علي شوونهم لم ار فيهم من يعجب لذلك او ينكره فعاد تعجبي منهم اشد وما ذلك الا لكثرة تكرره علي احساسهم حتي صار في حكم المالوف الذي لا يستحق ان يتعجب منه

ورايت قبل ذلك بيومين صبيا نحو الرهاق مشويا وقد اخذ به شابان اقر بقتله وشيه واكل بعضه

وفي بعض الليالي بعيد صلوة المغرب كان مع جارية فطيم تلاعبه لبعض المياسير فبينما هو الي جانبها اهتبلت غفلتها عنه صعلوكة فبقرت بطنه وجعلت تاكل منه نياء وحكي

Cap. II.

لي عدة نسا انه يتوثب عليهن لاقتناص
اولادهن ويحامين عنهم بجهدهن

ورايت مع امراة فطيما لحيها فاستحسنته
واوصيتها بحفظه فحكت لي انها بينا تمشي
علي الخليج انقض عليها رجل جاني ينازعها
ولدها فترامت علي الولد نحو الارض حتي
ادركها فارس فطرده عنها وزعمت انه كان
يهم بكل عضو يظهر منه ان ياكله وان
الولد بقي مدة مريضا لشدة تجاذبه المراة
والمفترس

وتجد اطفال الفقرا وصبيانهم ممن لم
يبق له كفيل ولا حارس منبثين في جميع
اقطار البلاد وازقة الدروب كالجراد المنتشر
ورجال الفقرا ونساوهم يتصيدون هولا الصغار
ويتغذون بهم وانما يعثر عليهم في الندرة
واذا لم يحسنوا التحفظ واكثر ما كان يطلع
من ذلك مع النسا وما اظن العلة فيه الا
ان

Lib. II. ان النسا اقل حيلة من الرجال واضعف عن التباعد والاستتار ولقد احرق بمصر خاصة في ايام يسيرة ثلثون لمراة كل منهن تقر انها اكلت جماعة فرايت امراة قد لحضرت الي الوالي وفي عنقها طفل مشوي فضربت اكثر من مايتي سوط علي ان تقر فلا تحير جوابا بل تجدها قد انخلعت عن الطباع البشرية ثم سحبت فماتت علي مكان واذا احرق اكل اصبح وقد صار ماكولا لانه يعود شواء ويستغني عن طبخه

ثم فشا فيهم اكل بعضهم بعضا حتي تفاني اكثرهم ودخل في ذلك جماعة من المياسير والمساتير منهم من يفعله حاجة ومنهم من يفعله استطابة وحكي لنا رجل انه كان له صديق لاتع في هذه النازلة فدعاه صديقه هذا الي منزله لياكل عنده علي ما جرت به عادتهما قبل فلما دخل منزله وجد

 عنده

CAP. II.

عنده جماعة عليهم رثاثة الفقر وبين ايديهم
طبيخ كبير اللحم وليس معه خبز فرابه ذلك
وطلب المرحاض فصادف عنده خزانة مشحونة
برمم الادمي وباللحم الطري فارتاع وخرج فارا
وظهر من هولا الخبثا من يتصيد الناس
باصناف الحبايل ويجتلبونهم الي مكامنهم
بانواع المخاتل وقد جري ذلك لثلثة من
الاطبا ممن ينتابني اما احدهم فان اباه خرج
فلم يرجع واما الاخر فان امراة اعطته درهمين
علي ان يصحبها الي مريضها فلما توغلت به
مضايق الطرق استراب وامتنع عنها وشنع عليها
فتركت درهمينها وانسلت واما الثالث فان
رجلا استصحبه الي مريضه في الشارع يزعمه
وجعل في اثنا الطريق يصدق بالكسر ويقول
اليوم يغتنم الثواب ويتضاعف الاجر ولمثل
هذا فليعمل العاملون ثم كثر حتي ارتاب
منه الطبيب ومع ذلك فحسن الظن يغلبه
وقوة

LIB. II.

وقوة الطمع تجذبه حتي ادخله دارا خربة فزاد
استشعار وتوقف في الدرج وسبق الرجل
فاستفتح فخرج اليه رفيقه يقول له هل مع
ابطايك حصل صيد ينفع فخرع الطبيب لما سمع
ذلك والقي نفسه الي اصطبل من طاقة
صارفها لسعادته فقام اليه صاحب الاصطبل يسله
عن قصيته فاخفاها عنه خوفا منه ايضا فقال
قد علمت حالك فان اهل هذا المنزل
يذبحون الناس بالختل

ووجد باطفيح عند عطار عدة خوابي
مملوة بلحم الادمي وعليه الما الملح فسالوه
عن علة اتخاذه والاستكثار منه فقال خفت
اذا دام الجدب ان يهزل الناس

وكان جماعة من الفقرا قد اووا الي
الجزيرة وتستروا ببيوت طين يتصيدون فيها
الناس ففطن لهم وطلب قتلهم فهربوا ووجد
في بيوتهم من عظام بني ادم شي كثير
وخبرني

Cap. II. وخبرني الثقة أن الذي وجد في بيوتهم اربع ماية جمجمة

ومما شاع وسمع من لفظ الوالي ان امراة اتته سافرة مذعورة تذكر انها قابلة وان قوما استدعوها وقدموا لها صحنا فيه سكباج محكم الصنعة مكمل التوابل فالفته كثير اللحم مباينا للحم المعهود فتقززت منه ثم وجدت خلوة ببنت صغيرة فسالتها عن اللحم فقالت ان فلانة السمينة دخلت لتزورنا فذبحها ابي ونحوها هي معلقة ارابا فقامت القابلة الي الخزانة فوجدتها اثاب بير لحم فلما قصت علي الوالي القصة ارسل معها من هجم الدار واخذ من فيها وهرب صاحب المنزل ثم صانع عن نفسه في خفية بثلثماية دينار ليحقن بذلك دمه

ومن غريب ما حدث من ذلك ان امراة من نسا الاجناد ذات مال ويسار كانت حاملا وزوجها غايب في الخدمة وكان يجاورها صعاليك

LIB. II.

صعاليك فشمت عندهم رايحـة طبخ فطلبت منه كها من عادة الجبالي فالفته لذيذا فاستزادتهم فزعموا انه نغد فسالـتهـم عن كيفية عمله فاسروا اليـها انه لحم بني ادم فواطاتهم علي ان يتصيدوا لها للصغار وتجـزل لهم العطاء فلما تكرر ذلك منها وضريت وغلبت عليها الطباع السبعية وشي بها جواريـها خوفا منها فهجـم عليها فوجد عندهـا من اللحم والعظام ما يشهد بصحة ذلك فحبست مقيدة وارجي قتلها احتراما لزوجها وابقا علي الولد في جوفها

ولو اخذنا نـقـتص كل ما نري ونسمع لوقعنا في التهمة او في الهذر

وجـمـيـع ما حكيناه مما شاهدناه لم نـتـقصده ولا تـتبعنا مظـانه وانما هو شي صادفـنـاه اتفاقا بل كثيرا ما كنت افر من رويته لبشاعة منظره

واما

Cap. II.

واما من يتحين زلك بدار الوالي فانه يجد منه اصنافا تحضر مع اناء الليل والنهار وقد يوجد في قدر واحدة اثنان وثلثة واكثر ووجد في بعض الايام قدر فيها عشر ايد كما تطبخ اكارع الغنم ووجد مرة اخري قدر كبيرة وفيها راس كبير وبعض الاطراف مطبوخا بقمح واصناف من هذا الجنس تغوت الاحصا

وكان عند جامع ابن طولون قوم يتخطفون الناس ووقع في حبالتهم شيخ كتبي بدين ممن تبيعنا الكتب فافلت بجريعة الذقن وكذلك بعض قوام جامع مصر وقع في حبالة قوم اخرين بالقرافه فتداركه الناس فخلص من الوهق وله حصاص واما من خرج عن اهله فلم يرجع اليهم فخلق كثير

وحكي لي من اثق به انه اجتاز علي امراة بخربة وبين يديها ميت قد انتفخ وتفجر

LIB. II.

وتغجر وهي تاكل من افخازه فانكر عليها
فزعمت انه زوجها وكثيرا ما يدعي الاكل
ان الماكول ولده او زوجه او نحو زلك
وروي مع عجوز صغير تاكله فاعتذرت بان
قالت انها هو ولد ابنتي وليس باجنبي مني
ولان اكله انا خير من ان ياكله غيري
واشباه هذا كثير جدا حتي انك لا تجد
احدا في ديار مصر الا وقد راي شيا من
زلك حتي ارباب الزوايا والنسا في خدورهن
ومما شاع ايضا نبش القبور واكل الموتي
وبيع لحومهم وهذه البلية التي شرحناها
وجدت في جميع بلاد مصر ليس فيها بلد
الا وقد اكل فيه الناس اكلا زريعا من
اسوان وقوص والفيوم والمحلة والاسكندرية
ودمياط وساير النواحي
وخبرني بعض اصحابي وهو تاجر مامون
حين ورد من الاسكندرية بكثرة ما عاين بها

R من

CAP. II.

من زلك واعجب ما حكي لي انه عاين اروس خمسة صغار مطبوخة في قدر واحدة بالتوابل الجيدة

وهذا المقدار من هذا الاقتصاص كاف فاني وان كنت قد اسهبت اعتقد اني قد قصرت

واما القتل والفتك في النواحي فكثير فاش في كل فج ولا سيما طريقي الفيوم والاسكندرية وقد كان بطريق الفيوم ناس في مراكب يرخصون الاجرة علي الركاب فاذا توسطوا بهم الطرق ذبحوهم وتساهموا اسلابهم وظفر الوالي منهم بجماعة فمثل بهم واقر بعضهم عندما اوجع ضربا ان الذي خصه دون رفقايه ستة الاف دينار

واما موت الفقرا هزالا وجوعا فامر لا نطيق علمه الا الله سبحانه وتعالي وانما نذكر منه كالانموذج يستدل به اللبيب علي فظاعة الامر فالذي شاهدنا بمصر والقاهرة

وما

LIB. II.

وما تاخم ذلك ان الماشي اين كان لا يزال يقع قدمه او بصره علي ميت او من هو في السياق او علي جمع كثير بهذه الحال وكان يرفع من القاهرة خاصة الي الميضاة كل يوم ما بين ماية الي خمس ماية واما مصر فليس لموتاها عدد ويرمون ولا يوارون ثم باخرة عجز عن رميهم فبقوا في الاسواق وبين البيوت والدكاكين وفيها والميت منهم قد تقطع والي جانبه الشوا والخباز ونحوه

واما الضواحي والقري فانه هلك اهلها قاطبة الا ما شا الله وبعضهم انجلي عنها اللهم الا الامهات والقري الكبار كقوص والاشمونين والمحلة ونحو ذلك ومع هذا ايضا فلم يبق فيها الا تحلة القسم وان المسافر ليمر بالبلدة فلا يجد فيها نافخ ضرمة ويجد البيوت مفتحة واهلها موتي متقابلين بعضهم قد رم وبعضهم طري وربما وجد في البيت اثاثه وليس له من ياخذه

حدثني

حدثني ذلك غير واحد كل منهم حكي
ما يعضد به قول الاخر قال احدهم دخلنا
مدينة فلم نجد فيها حيوانا في الارض ولا
في السما فتخللنا البيوت فالغينا اهلها كما
قال الله عز وجل جعلناهم حصيدا خامدين
فتجد ساكن كل دار موتي فيها الرجل
وزوجه واولاده قال ثم انتقلنا الي بلد اخر
ذكر لنا انه كان فيه اربع ماية دكان
للحياكة فوجدناها كالتي قبلها في الخراب
وان الحايك في بير حياكة ميت واهله
موتي حوله فحضرني قول الله تعالي كانت
الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون قال ثم
انتقلنا الي بلد اخر فوجدناه كالذي قبله
ليس به انيس وهو مشحون بموتي اهله قال
واحتجنا الي الاقامة به لاجل الزراعة فاستاجرنا
من ينقل الموتي مما حولنا الي النيل كل
عشرة بدرهم قال ولكن قد بدلت البلاد
بالذياب والضباع ترتع في لحوم اهلها

ومن

LIB. II.

ومن عجيب ما شاهدت اني كنت يوما مشرفا علي النيل مع جماعة فاجتاز علينا في نحو ساعة نحو عشرة موتي كانهم القرب المنفوخة هذا من غير ان نتقصد رويتهم ولا احطنا بعرض البحر وفي غد ذلك اليوم ركبنا سفينة فراينا اشلا الموتي في الخليج وساير الشطوط كما شبهها ابن حجر بانابيش العنصل وخبرت عن صياد بفرضة تنيس انه مر به في بعض نهار اربع مائة غريق يقذف بهم النيل الي البحر الملح

واما طريق الشام فقد تواترت الاخبار انها صارت مزرعة لبني ادم بل محصدة وانها عادت مادبة بلحومهم للطير والسباع وان كلابهم التي صحبتهم من منجلاهم هي التي تاكل فيهم واول من هلك في هذه الطريق اهل الحوف عند ما انتجعوا الي الشام وانتشروا في هذه المسافة مع طولها كالجراد المحسوس

ولم

CAP. II. ولم تزل تتواصل هلكاهم الي الان وانتهي انتجاعهم الي الموصل وبغداد وخراسان والي بلاد الروم والمغرب واليمن ومزقوا في البلاد كل ممزق

وكثيرا ما كانت المراة تتخلص من صبيتها في الزحام فيتضورون حتي يموتوا

واما بيع الاحرار فشاع وشاع عند من لا يراقب الله حتي تباع الجارية الحسنا بدراهم معدودة وعرض علي جاريتان مراهقتان بدينار واحد ورايت مرة اخري جاريتان احداهما بكر ينادي عليهما احد عشر درهما

وسالتني امراة ان اشتري ابنتها وكانت جميلة دون البلوغ بخمسة دراهم فعرفتها ان ذلك حرام فقالت خذها هدية وكثيرا ما يترامي النسا وولدان الذين فيهم صباحة علي الناس بان يشتروهم او يبيعوهم وقد استحل ذلك خلق عظيم ووصل سبيهم الي العراق واعماق خراسان وغير ذلك

واعجب

Lib. II. واعجب من جميع ما اقتصصناه ان الناس مع ترادف هذه الايات عاكفون علي اصنام شهواتهم لا يرعون منغمسون في بحر ضلالاتهم كانهم هم المستثنون فمن ذلك اتخاذهم بيع الاحرار متجرا ومكتسبا ومنه عهارهم بهولا النسوة حتي ان منهم من يزعم انه افتض خمسين بكرا ومنهم من يقول سبعين كل ذلك بكسر

واما خراب البلاد والقري وخلو المساكن والدكاكين فهو مما يلزم هذه الجملة التي اقتصصناها وناهايك ان القرية التي كانت تشتمل علي زها عشرة الف نسمة تمر عليها فتراها دمنة وربما وجد فيها نفر وربما لم يوجد واما مصر فخلا معظمها واما بيوت الخليج وزقاق البركة وحلب والمقس وما تاخم ذلك فلم يبق فيها بيت مسكون اصلا بعد ما كان كل قطر منها قدر مدينة في زحمة من

CAP. II.

من الناس حتي ان الرباع والمساكن
والدكاكين التي في سرة القاهرة وخيارها
اكثرها خال خراب وان ربعا في اعمر موضع
بالقاهرة فيه نيف وخمسون بيتا كلها خالية
سوي اربعة ابيت اسكنت من بحرس
الموضع

ولم يبق لاهل المدينة وقود في تنانيرهم
وافرانهم وبيوتهم الا خشب السقوف والابواب
والزروب

ومما يقضي منه العجب ان جماعة من
الذين ما زالوا محدودين سعدوا في دنياهم
هذه السنة فمنهم من اثري بسبب متجرة في
القمح ومنهم من اثري بسبب مال انتقل اليه
بالارث ومنهم من حسنت حاله لا بسبب
معروف فتبارك من بيده القبض والبسط
ولكل مخلوق من عنايته قسط

واما خبر النيل في هذه السنة فانه
احترق في برمودة احتراقا كثيرا وصار المقياس
في

LIB. II.

في ارض جرز وانحسر الما عنه نحو الجيزة
وظهر في وسطه جزيرة عظيمة طويلة ومقطعات
ابنية وتغير الما في ريحه وطعمه ثم تزايد
التغير ثم انكشف امره عن خضرة طحلبية
كلما تطاول الايام ظهرت وكثرت كالتي ظهرت
في ابيب من السنة الخالية ولم تزل الخضرة
تتزايد الي اخر شعبان ثم تناقصت الي ان
زهبت وبقي في الما اجزا نباتية منبثة فقط
وطاب طعمه وريحه ثم اخذ في رمضان تنمي
وتقوي جريته الي اليوم السادس عشر منه
فقاس فيه ابن ابي الرداد قاع البركة فكان
ذراعين واخذ في زيادة ضعيفة اضعف من
السنة الخالية ولم يزل في زيادة ضعيفة الي
ثامن ذي القعدة وهو السابع عشر من
مسري فزاد اصبعا ثم وقف ثلثة ايام فايقن
الناس بالبلا واستسلموا للهلكة ثم اخذ في
زيادات قوية اكثرها ذراع الي ثالث ذي

S الحجة

الحجة وهو السادس من توت فبلغ خمس عشرة زراعا وست عشرة اصبعا ثم انحط من يومه وانهزم علي فوره ومس بعض البلاد تحلة القسم فكانها زارها طيف خيالة في الحلم

وانها انتفع به ما كان من البلاد مطمينا فاروي المنخفضات كالغربية ونحوها غير ان القري خالية عن فلاح او حراث اصلا فهم كما قال الله تعالي فاصبحوا لا تري الا مساكنهم وانها ارباب الجدات يجمعون شذاذهم ويلتقطون افرادهم وقد عز الحراث والبقر جدا حتي يبتاع الثور الواحد بسبعين دينارا والهزيل بدون ذلك وكثير من البلاد ينحسر عنها الما بغير حقه ولغير وقته اذ ليس بها من يمسك الما ويحبسه فيها فتبور لذلك مع ربها وكثير مما روي يبور لعجز اهله عن تقاويه والقيام عليه وكثير مما زرع اكلته الدودة وكثير مما سلم منها اضوي وعطب ونهاية

LIB. II.

ونهاية سعر القمح في هذه السنة خمسة دنــانير الاردب والفول والشعير باربعة دنانير واما بقوص والاسكندريـة فبلغ ستة دنانير ومن الله سبحــانــه يرجي الفرج وهو المتيح للخير بمنه وجوده

****

الفصل الثالث في حوادث سنة ثمان وتسعين وخمس ماية

ودخلت هــذه السنــة والاحــوال التي شرحناها في السنة الخالية علي ذلک النظام او في تزيد الي زها نصفها فتناقص موت الفـقرا لقلتهم لا لارتفاع السبب الموجب وتـنــاقص اكل بني ادم ثم انــقطع خبره اصلا وقل خطف الاطعمة من

الاسواق

الاسواق وذلك لغنا الصعاليك وقلتهم من
المدينة وانحطت الاسعار حتي عاد الاردب
بثلثة دنانير لقلة الاكلين لا لكثرة الماكول
وخفت المدينة باهلها واختصرت واختصر جميع
ما فيها علي تلك النسبة والف الناس الغلا
واستمروا علي البلا حتي عاد ذلك كانه مزاج
طبيعي وحكي لي انه كان بمصر تسع مائة
منسج للحصر فلم يبق الا خمسة عشر منسجا
وقس علي هذا ساير ما جرت العادة ان يكون
بالمدينة من باعة وخبازين وعطارين واساكفة
وخياطين وغير ذلك من الاصناف فانه لم
يبق من كل صنف من هولا الا نحو ما بقي
من الحصريين او اقل من ذلك

واما الدجاج نعدم راسا لو لا انه جلب
منه شي من الشام وحكي لي ان رجلا
مصريا شارف الغغر فالهم ان اشتري من
الشام دجاجا بستين دينارا وباعها بالقاهرة
علي

LIB. II.

علي القماطين بنحو ثماني ماية دينار ولما
وجد البيض بيع بيضة بدرهم ثم بيضتين
ثم ثلثا ثم اربعا واستمر علي ذلك

واما الفراريج فبيع الفروج بماية درهم
ولبث برهة يباع الفروج بدينار فصاعد

واما الافران فانها توقد باخشاب الدور
فيشتري الفران الدار بالثمن البخس ويقد
زروبه واخشابه اياما ثم يشتري اخر وربما كان
فيهم من تنشطه نذالته فيخرج ليلا يجوس
خلال الديار فيحتطبها ولا يجد ذاعرا وكثيرا
ما تغفر الدار بمالكها ولا يجد لها مشتريا
فيفصل اخشابها وابوابها وساير الاتها فيبيعها
ثم يطرحها مهدومة وكذلك ايضا يفعلون
بدور الكرا

واما الهلالية ومعظم الشارع ودور الخليج
وحارة الباسة والمقس وما تاخم ذلك فلم يبق
فيها انيس وانما تري مساكنهم خلوية علي
عروشها

CAP. III.

عروشها وكثيرا من اهلها موتي فيها ومع ذلك فالقاهرة بالقياس الي مصر في غاية العمارة واهلها في غاية الكثرة واما الضواحي وساير البلاد فيباب راسا حتي ان المسافر يسير في كل جهة ايامًا لا يصادف حيوانا الا الرمم ما خلا البلاد الكبار كقوص واخميم والمحلة ودمياط والاسكندرية فان فيها بقايا واما ما عدا هذه وامثالها فان البلد الذي كان يحتوي علي الوف خال او كالخالي

واما الاملاك ذوات الاجر المعتبرة فان معظمها خلا ولا يبق داب اهلها الا حراستها بسد ابوابها وتحصين مسالقها او اسكانها من يحرسها باجرة اللهم الا ما كان من الملك في قصبة المدينة فان بعضها مسكون باخف اجرة واعرف ربعا في اعمر موضع بالمدينة كانت اجرته في الشهر مائة وخمسين دينار فعادت في هذه السنة الي نحو عشرين دينارا

Lib. II. دينارا واخر في مثل موضعه كانت اجرته في الشهر ستة عشر دينارا فعادت الي فويق الدينار وجميع ما لم نذكره علي هذا القياس افهمه

والذي دخل تحت الاحصا من الموتي ممن كفن وجري له اسم في الديوان وضمنته الميضاة في مدة اثنين وعشرين شهرا اولها شوال من سنة ست وتسعين واخرها رجب من سنة ثمان وتسعين ماية الف نفس واحد عشر الفا الا احادا وهذا مع كثرته نزر في جنب الذين هلكوا في دورهم وفي اطراف المدينة واصول الحيطان وجميع ذلك نزر في جنب من هلك بمصر وما تاخمها وجميع ذلك نزر في جنب من اكل في البلدين وجميع ذلك نزر جدا في جنب من هلك او اكل في ساير البلاد والنواحي والطرقات وخاصة طريق الشام فانه لم يرد احد

من

من ناحية فسالته عن الطرق الا زكر انها مزرعة بالاشلا والرمم وهكذا ما سلكته منها

ثم انه وقع بالفيوم والغربية ودمياط والاسكندرية موتان عظيم ووبا شديد ولا سيما عند وقت الزراعة فلعلة يموت علي المحراث الواحد عدة فلاحين حكي لنا ان الذين بذروا غير الذين حرثوا وكذلك الذين حصدوا وباشرنا زراعة لبعض الروسا فارسل من يقوم بامر الزراعة فجا الخبر بموتهم اجمعين فارسل عوضهم فمات اكثرهم هكذا مرات في عدة جهات

وسمعنا من الثقات عن الاسكندرية ان الامام صلي يوم الجمعة علي سبعماية جنازة وان تركة واحدة انتقلت في مدة شهر الي اربعة عشر وارثا وان طايفة كبيرة من اهلها تزيد علي عشرين الفا انتقلوا الي برقة واعمالها فعمروها وقطنوها وهذه برقة كانت مهلكة

Lib. II.

مهلكة عظيمة وخربت في زمن اليازوري وعلي يديه وكان وزيرا ظالما فجلي عنها اهلها وسكن كثير منهم بالاسكندرية وكان هذا الحادث تفاص في الطبيعة

ومن عجيب ما اتفق لشيخ من اطبا يهود مصر ممن ينتابني سوي من سبق ذكرهم ان استدعاه رجل من زبونه ذو شارة وشهرة بستر ودين وجدة فلما حصل في المنزل اغلق الباب ووثب عليه فجعل في عنقه وهقا ومرث المريض خصييه غير انه لم تكن لهما معرفة بالقتل فطالت المناوشة وعلا ضجيجه فتسامع الناس ودخلوا فخلصوا الشيخ مرتثا وبه رمق يسير وقد وجيت خصياه وكسرت ثنيتاه وحمل الي منزله مغشيا عليه واحضر الفاعل الي الوالي فساله ما حملك علي ما فعلت فقال الجوع فضربه ونفاه

واتفق سحرة يوم الاثنين السادس والعشرين من شعبان وهو الخامس والعشرون

Cap. III. من بشنس ان حدثت زلزلة عظيمة اضطرب
لها الناس فهبوا من مضاجعهم مدهوشين
وضجوا الي الله سبحانه ولبثت مدة طويلة
وكانت حركتها كالغربلة او كخفق جناح
الطاير وانقضت علي ثلث رجفات قوية مادت
بها الابنية واصطفقت الابواب وصرصرت السقوف
والاخشاب وتداعي من الابنية ما كان واهيا او
مشرفا عاليا ثم عاودت في نصف نهار يوم
الاثنين الا انها لم يحس بها اكثر الناس
لخفايها وقصر زمانها وكان في هذه الليلة
برد شديد يحوج الي دثار خلاف العادة
وفي نهار ذلك اليوم تبدل بحر شديد وسموم
مفرط يضيق الانفاس وياخذ بالكظم وقلما
تحدث زلزلة بمصر بهذه القوة

ثم اخذت الاخبار تتواتر بحدوث الزلزلة
في النواحي الدانية والبلاد النازحة في تلك
الساعة بعينها والذي صح عندي انها حركت
في

Lib. II.

في ساعة واحدة طايفة من الارض من قوص
الي دمياط والاسكندرية ثم بلاد الساحل باسرها
والشام طولا وعرضا وتعفت بلاد كثيرة بحيث
لم يبق لها اثر وهلك من الناس خلق عظيم
وامم لا تحصي ولا اعرف في الشام بلدا
احسن سلامة من القدس فانها لم تنكب فيه
الا ما لا بال به وكانت نكاية الزلزلة ببلاد
الافرنج اكثر منها في بلاد الاسلام كثيرا
وسمعنا ان الزلزلة وصلت الي اخلاط ونخومها
والي جزيرة قبرس وان البحر ارتطم وتموج
وتشوهت مناظره فانفرق في مواضع وصارت
فرقه كالاطواد وعادت المراكب علي الارض
وقذف سمكا كثيرا علي ساحلة

ثم وردت كتب من الشام ومن دمشق
وحماة تتضمن خبر الزلزلة ومما اتصل بي
من ذلك كتابان اوردتهما بلفظهما

نسخة الكتاب الوارد من حماة

ولما

CAP. III.

ولما كان سحرة يوم الاثنين السادس
والعشرين من شعبان حدثت زلزلة كادت
الارض تسير سيرا والجبال تمور مورا وما ظن
احد من الخلق الا انها زلزلة الساعة واتت
دفعتين في ذلك الوقت اما الدفعة الاولي
فاستمرت مقدار ساعة او تزيد عليها واما
الثانية فكانت دونها ولكن اشد منها وتاثر منها
بعض القلاع فاولها قلعة حماة مع اتقانها
وعمارتها وبارين مع اكتنازها ولطافتها وبعل
بك مع قوتها ووثاقتها ولم يرد عن البلاد
الشاسعة والقلاع النازحة الي الان ما اذكره
ثم حدث في يوم الثلثا السابع والعشرين منه
عند صلوة الظهر زلزلة استوي في علمها
اليقظان والنايم وتزعزع لها القاعد والقايم ثم
حدثت في هذا اليوم ايضا وقت صلوة العصر
ووصل الخبر من دمشق بان الزلزلة افسدت
فيها منارة الجامع الشرقية واكثر الكلاسة
والبيمارستان

Lib. II.

والبيمارستان جميعه وعدة مساكن تساقطت علي اهلها وهلكوا

لسخة الكتاب الوارد من دمشق

المملوك ينهي حدوث زلزلة ليلة الاثنين سادس وعشرين شعبان وقت انفجار الفجر واقامت مدة قال بعض الاصحاب انها مقدار ما قرا سورة الكهف وذكر بعض المشايخ بدمشق انه لم يشاهد مثلها فيما تقدم ومما اثرت في البلد سقوط ست عشرة شرفة من الجامع واحدي المواذن وتشقق اخري وقبة الرصاص يعني النسر وانخساف الكلاسة ومات فيها رجلان ورجل اخر علي باب جيرون وتشقق بالجامع مواضع كثيرة وسقط بالبلد عدة ادور وذكر عن بلاد المسلمين ان بانياس سقط بعضها وصفد كذلك ولم يبق بها الا من هلك سوي ولد صاحبها وكذلك تبنين ونابلس لم يبق بها جدار قايم سوي حارة

CAP. III.

جارة السهرة ويذكر ان المقدس سالم
والحمد لله

واما بيت جن فلم يبق منه والاساس
الجدران الا وقد اتي عليه الخسف وكذلك
اكثر بلاد حوران غارت ولم يعرف لبلد
منها موضع يقال فيه هذه القرية الفلانية
ويقال ان عكة سقط اكثرها وصور ثلثها وعرقة
خسف بها وكذلك صافيثا واما جبل لبنان
فهو موضع يدخل الناس اليه بين جبلين
يجمع منه الريباس الاخضر فيقال ان الجبلين
انطبقا علي من بينهما وكانت عدتهم تناهز
مايتي رجل وقد اكثر الناس في حديثها
واقامت بعد ذلك اربعة ايام تحدث في النهار
والليل ونسل الله لطفه وتدبيره وهو حسبنا
ونعم الوكيل

ومن عجيب ما شاهدنا ان جماعة ممن
ينتابني في الطب وصلوا الي كتاب التشريح
فكان

213. II. فكان يعسر افهامهم وفهمهم لقصور القول عن
العيان فاخبرنا ان بالمقس تلا عليه رمم كثيرة
فخرجنا اليه فراينا تلا من رمم له مسافة
طويلة يكاد يكون ترابه اقل من الموتي به
تحدس ما يظهر منهم للعيان بعشرين الفا
فصاعدا وهم علي طبقات في قرب العهد
وبعده فشاهدنا من شكل العظام ومفاصلها
وكيفية اتصالها وتناسبها واوضاعها ما افادنا
علما لا نستفيده من الكتب اما انها سكتت
عنها او لا يفي لفظها بالدلالة عليه او يكون
ما شاهدناه مخالفا لما قيل فيها والحس
اقوي دليلا من السمع فان جالينوس وان
كان في الدرجة العليا من التحري والتحفظ
فيما يباشره ويحكيه فان الحس اصدق منه
ثم بعد زلك يتخيل لقوله مخرج ان امكن
فمن زلك عظم الفك الاسفل فان الكل قد
اطبقوا علي انه عظمان بمفصل وثيق عند
الحنك

CAP. III.

الحنك وقولنا الكل انها نعني به هاهنا
جالينوس وحده فانه هو الذي باشر التشريح
بنفسه وجعله دابه ونصب عينه وصنف فيه
عدة كتب معظمها موجود لدينا والباقي لم
يخرج الي لسان العرب والذي شاهدنا من
حال هذا العضو انه عظم واحد ليس فيه
منفصل ولا درز اصلا واعتبر ناه ما شا الله من
المرات في اشخاص كثيرة تزيد علي الفي
جمجمة باسنان من الاعتبارات فلم نجده
الا عظما واحدا من كل وجه ثم اننا استعنا
بجماعة مفترقة اعتبروه بحضرتنا وفي غيبتنا
فلم يزيدوا علي ما شاهدناه منه وحكيناه
وكذلك في اشيا اخر غير هذه ولين مكنتنا
المقادير بالمساعدة وضعنا مقالة في ذلك
نحكي فيها ما شاهدناه وما علمناه من
كتب جالينوس ثم اني اعتبرت هذا العظم
ايضا بمدافن بوصير القديمة المقدم ذكرها
فوجدته

LIB. II.

فوجدته علي ما حكيت ليس فيه مفصل ولا درز ومن شان الدروز الخفية والمفاصل الوثيقة اذا تقادم عليها الزمان ان تظهر وتتفرق وهذا الفك الاسفل لا يوجد في جميع احواله الا قطعة واحدة

واما العجز مع العجب ذكر جالينوس انه مولف من ستة اعظم ووجدته انا عظما واحدا واعتبرته بكل وجه من الاعتبار فوجدته عظما واحدا ثم اني اعتبرته في جثة اخري فوجدته ستة اعظم كما قال جالينوس وكذلك وجدته في ساير الجثث علي ما قال الا في جثتين فقط فاني وجدته فيهما عظما واحدا وهو في الجميع موثق المفاصل ولست واثقا بذلك كما انا واثق باتحاد عظم الفك الاسفل

ثم اننا دخلنا مصر فراينا فيها دروبا واسواقا عظيمة كانت مغتصة بالزحام والجميع

CAP. III. خال ليس فيه حيوان الا عابر سبيل في
الاحايين وان المار فيها ليستوحش ومع ذلك
فقلما ينفك قطر منها عن جثة وعظام متفرقة
حتي خرجنا الي موضع يسمي اسكرجة
فرعون فراينا الاقطار كلها مغتصة بالجثث
والرمم وغلبت علي الاكام بحيث جللتها
وكادت تغلب علي ترابها ورابنا في هذه
الاسكرجة وهي وهدة عظيمة حين ما اشرفنا
عليها الجماجم بيضا وسودا ودكنا بعضها علي
بعض طبقات وقد اخفي كثرتها وتراكمها
ساير العظام حتي كانها رووس لم يكن
معها ابدان يشبهها من ينظرها ببطيخ قد
قطع وجمع حتي صار كالبيدر ثم رايتها
بعد ايام وقد عرقتها الشمس وابيضت فشبهتها
ببيض النعام المتراكم ولما رايت خلو تلك
الحارات والاسواق من الناس وامتلا تلك
الصحاري والاكام خيل الي انه سفر ارتحل
فاحلا

LIB. II. فاحلا مكانا وشغل اخر هذا مع انه اي جهة نحاها القاصد صادف فيها ما حكينا واضعافه ووجد في ذي الحجة بمصر امراة ذبحت صبيا لتاكله فاخذت وغرقت ومذ ارتفعت هذه الحال وانقطع خبرها ومشاهدتها لم يوجد سوي هذه المراة

ومن عجيب الكاينات في هذة المدة ان مولودا في سنة سبع وتسعين ولد براسين وولد مولود اخر ابيض الشعر ورايته وليس هو كبياض الشيب بل يميل الي صهوبة ما وولدت في هذه السنة بغلة ولدا ميتا وبقي في دار الوالي اياما كثيرة وفي سنة ثمان وتسعين وجدت سخلة ذات لبن كان يخرج من حلمتها كانه خيط دقيق واحضرت بدار الوالي مرات واخر ما احضرت وعمرها اربعة اشهر

واما خبر النيل في هذه السنة فنحن

CAP. III.

نسوقه باختصار اما اولا فانه احترق في طوبه
ثم تـزايد احتراقه حتي صار مخاضات للناس
والدواب وظهرت الخضرة فيه في جمدي الاخرة
الكاين في برمهات وتزايدت جدا في رجب
حتي ظهرت في لونه وطعمه وريحه ثم تناقصت
حتي زهبت اصلا وانتهي احتراقه في رمضان
وانحسر عن المقياس نحــو ثماني ماية ذراع
وطالع ابن ابي الرداد باستقرار الما يوم الثلثا
لخمس بقين من بـوونه واربـع بقين من
رمضان من سنــة ثمان وتسعين فكان القاع
ذراعا ونصفا وكان في السنة الخالية ذراعين
وابتدا بالـزيـادة في السنة الخالية مذ هذا
اليوم فاما في هذه السنة فان زيادته تاخرت
الي الخامس والـعـشـريـن من ابيب لم
يـزد في هذه المدة سوي اربع اصابع حتي
سات ظنـون الناس وشملهم الياس وظنوا ان
حادثا وقع بفوهته وعند مبدا جريته ثم اخذ
في

LIB. II.

في الزيادة حتي انسلخ ابيب وهو علي ثلث ازرع ووقف يومين فاشتد هلع الناس لخروجه في التوقف عن المعتاد ثم انه اندفع بقوة قوية وزيادات متداركة وجبال من المياه متدافعة فزاد ثماني ازرع في مدة عشرة ايام منها ثلث ازرع متوالية وانتهي في رابع توت وهو الثاني عشر من ذي الحجة الي ست عشرة ذراعا تنقص اصبعا واقام يومين ثم اخذ ينحط متباطيا وينصرف رويدا

فهذا ما قصدت اقتصاصه من احوال هذه الكاينة فليكن اخر المقالة ومنتهي الكتاب والحمد لله رب العالمين وصلي الله علي سيد المرسلين محمد النبي الامي وعلي اله الطيبين الطاهرين كتبه مولفه الفقير الي الله تعالي عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادي في رمضان سنة ستماية بالقاهرة

تم